

مؤرخ سيمون

جريمة في الرقعة



روايات الهلال
روائع القصص العالمي

جمعة

في

الرقعة

بفام

جولج سيمنون

حقوق الطبع محفوظة لدار الاملا

مؤلف الرواية

هو الكاتب البلجيكي المولد ، الفرنسي اللسان والقلم ، الامريكى المهجر ، العالمى الوطن « جورج سيمنون » ..

قال عنه أندريه جيد - وهو الاديب المدقق الثقة المتحرج - انه ربما كان أعظم الادباء المعاصرين الذين يكتبون باللغة الفرنسية . وقال عنه سومرست موم انه وصاحبه الانجليزى جراهام جرين ، أعظم روائيين فى هذا الزمان ، من الجيل التالى لموم الشيخ ... وسماه « بلزاك هذا العصر »

وناهيك برجل يناهز الخمسين ، وله من الروايات الطوال أكثر من أربعمائة !

وناهيك بمؤلف يكتب الرواية البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون ، ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية فكأنك تعيش مع أشخاصها فى حرارة وصدق ، ويكتب الرواية النفسية التحليلية فاذا بك تتغلغل الى داخل نفوس أبطاله ، وتعرفهم من سرائرهم الغامضة ، وتشغل بهم كأن العالم قد خلا الا من هؤلاء الابطال الخياليين ..

وهو الآن شغل النقاد الشاغل ، لهذا التعدد فى نواحي انتاجه تعددا يكاد يوحى بازدواج الشخصية ، فلا يتهمه أحدهم بسبب رواية بوليسية بالسوقية والاسفاف حتى يجد له رواية من الادب الرفيع الممتاز ..

انه أشبه فى انتاجه بالطبيعة : فيها الوهاد السحيقة وفيها القمم الشامخة ، وفى الحالتين تبدى قدرة الابداع والخلق ..

ومن أعظم رواياته العالمية التي رشحوه من أجلها لنيل جائزة
نوبل العالمية

* أغلال الخطيئة ، وقد ترجمناها ونشرناها في روايات الهلال

* الثلج الاسود

* فتاة في ماضيه

* هذه المرأة لى .. وترجمناها أيضا في سلسلة روايات الهلال

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بأن هذه الرواية التي نقلها الى اللغة
العربية من أعظم روائع جورج سيمنون

شخصيات الرواية

كبير مفتشى المباحث الجنائية
بباريس
مفتش من سكوتلانديارد
صاحب حانة بباريس
جاويز مساعد لميجريه
صهر ميجريه
مفتش مباحث بجنوب فرنسا
بحار ولص تائب
موظف بأرشييف المباحث
الجنائية بباريس
بائعة هوى عشيقة مارسلان
سابقا
حكمدار بجنوب فرنسا
نوتى بجنوب فرنسا
من أرباب السوابق ومهرب
صاحب خان بالريفيرا
خادمة فى خان سفينة نوح
ثرية انجليزية عجوز
أديب فاشل وسكرتيرها
ميجر انجليزى متقاعد
عجوز ابن صاحبة بيوت
للترفيه
أمه
رسام هولندى شاب
شابة حسناء عشيقة دى
جريف
عمدة الجزيرة
عجوز معدم متشرد

ميجريه
Maigret
بايك
Pyke
كاراشى
Caracci
لوقا
Luca
موتون
Mouton
ليشار
Lechar
مارسلان
Marcellan
لانجلو
Langloi
جينيت
Ginette
بوافير
Boisvert
جبريل
Gabriel
شارلو
Charlot
بول
Paul
جوجو
Jojo
الين ويلكوكس
Ellen Wilcox
فيليب دى موريكور
Philippe De Moricourt
بللام
Bellam
أميل
Emile
جاستين
Justine
جيف دى جريف
Jef de Greef
آنا
Anna
جاميه
Jamet
بنوا
Benoit



سفينة نوع

- تقول انك كنت واقفا بباب مقصفك ؟

- نعم يا حضرة المفتش ..

- ثم وقفت سيارة «سبور» رمادية اللون وقفز منها رجل ..

- نعم يا حضرة الضابط ..

- وكى يدخل الى مقصفك لابد انه مر بجوارك .. بل واحتك بك تقريبا أثناء مروره . وفوق باب مقصفك لافتة مضاءة بالنيون

- لونها قرمزي يا حضرة المفتش ..

- وماذا لو كان لونها قرمزيا ؟ ..

- هذا هو ما جعلنى لا أتبين شكل الشخص الذى دخل ..

- لم تعرفه بسبب لون الضوء أم بسبب رفعه للستار المخمل من فوق الباب الداخلى ثم أفراغ رصاص مسدسه فى البارمان ؟

وكان هذا الشاهد يدعى « كاراتشى » أو « كاراتشىنى » ..

وهو قصير القامة ، عالى الكعبين ، كورسيكى السحنة ، فيه بعض الشبه من مواطنه الشهر نابليون ، وفى اصبعه خاتم يزينه فص ضخ من الماس الاصفر

واستجواب هذا الشاهد ظل يدور حول نقطة واحدة تقريبا منذ الساعة الثامنة صباحا الى أن قاربت الساعة الآن الحادية عشرة ، و « ميجرية » يستعين بالصبر .. بل ان التحقيق قد بدأ فى الواقع عند منتصف الليلة السابقة منذ قبض على جميع الموجودين بالمقصف الكائن بشوارع فونتين على اثر مصرع

البارمان ، وتولى - اثناء الساعات الاخيرة من الليل - اربعة مفتشين استجواب «كاراتشى» من غير ان يظفروا منه بطائل .. ولم يجدوا بدا من ان يعهدوا بأمره الى العبرى العجوز «ميجريه» بمجرد حضوره ..

ومع ان شهر مايو من تلك السنة كان شديد الحرارة فى باريس الا ان المطر كان ينهمر بغزارة كما يحدث فى اوان الخريف ، واستمر سقوط المطر منذ الرابعة صباحا ، و « ميجريه » ينظر من خلال زجاج النافذة الى الماء الذى يقطر من السقوف والاشجار والابنية لامعا فى شعاع الشمس .. وهو لا يدري كيف «يستخرج» الحقيقة من لسان « كاراتشى » ..

اما مستر « بايك » فكان ساكنا فى مقعده لا يتحرك ، وقد انزوى فى أحد الاركان وعيناه تتنقلان ببطء ما بين المفتش الكبير والرجل القصير الذى يستجوبه من غير أن يبدو على محيا ذلك المفتش الانجليزى أى أثر يدل على حقيقة ما يدور فى ذهنه من الخواطر والتعليقات ..

والتفت « ميجريه » الى « كاراتشى » وقال له :

- ينبغى أن تدرك يا « كاراتشى » أن سلوكك هذا واصرارك على الصمت ستدفع ثمنهما غاليا جدا ، فقد يؤدى هذا الى اغلاق ابواب مقصفك بصفة نهائية

ولم يتأثر الكورسيكى بهذا التهديد ، بل ابتسم ابتسامة تواطؤ وهو يسوى يديه أطراف شاربه الاسود ، وقال بهدوء :

- صحيفتى الجنائية نظيفة تماما وسلوكى لا غبار عليه .. فلا يمكن أن تتوافر أسباب كافية لسحب الترخيص ..

- اذن أنت بالاختصار ترفض الاجابة .. ؟

- انا لا أرفض الاجابة يا حضرة المفتش ، ولكنى لا أعرف

شيئا ..

فظهر الضيق على وجه « ميجريه » وهو ينهض ويفتح الباب مناديا :

- لوقا ! خذك اليك وتفاهم معه كما ينبغى ..

ويا للنظرة التى حمله بها مستر « بايك » نحو « ميجريه » !

ومستر « بايك » ربما كان الطف رجل على وجه الارض ، ولكن هناك لحظات يشعر فيها « ميغريه » انه يكره « بايك » كرها شديدا .. مثلما يكره بالضبط صهره المسمى « موتون » ، فمرة في كل سنة ، وفي فصل الربيع ، ينزل « موتون » من القطار في محطة الشرق ومعه زوجته شقيقة مدام « ميغريه » ..

و « موتون » أيضا أطف انسان على وجه الارض .. ولا يمكن أن يؤذى ذبابة ، أما زوجته ، فهي الظرف والمرح مجسمين .. ومن أول لحظة تطأ فيها قدمها مسكن « ميغريه » في شارع ريشار وضعت مئزرا فوق ثوبها ، ونشطت للمعاونة في أعمال البيت . ويمر أول يوم على خير حال ، ويكون اليوم الثاني أيضا شبيها باليوم الاول .. ثم يقول « موتون » :

- سنسافر غدا ..

وتصرخ مدام « ميغريه » محتجة :

- ما هذا الكلام ؟ لماذا تسافرون بهذه السرعة ؟

- لاننا سنضايقكم بوجودنا ..

- كلا وحياتك ! ..

ويصيح « ميغريه » أيضا مؤيدا زوجته :

- كلا وحياتك ..

وفي اليوم الثالث يتمنى « ميغريه » بينه وبين نفسه أن تهبط من السماء قضية معقدة تحول بينه وبين تناول الطعام في بيته ، ولكن هذه القضايا اللعينة التي تكثر في كل وقت تأبى أن تخف قضية منها لتجدته في الفترة التي يأتي فيها صهره لزيارته ..

وابتداء من اليوم الخامس ، يبدأ « ميغريه » وزوجته في تبادل نظرات الغيظ والعذاب .. ولكن آل « موتون » يستكملان تسعة أيام كاملة من الاقامة وهما في غاية الظرف والدمائة والدقة وحسن الذوق ، بحيث يؤنب المرء نفسه على كراهيته لهما .. !

وهذا هو الموقف بالضبط فيما يختص بمستر « بايك » .. مع أنه لم يمض سوى ثلاثة أيام على مصاحبته للمفتش « ميغريه » أينما ذهب ، وأساس المسألة أن مدير الشرطة في باريس كان قد قام منذ أسابيع قلائل بزيارة رسمية لعمدة لندن ، وقام العمدة

بالطواف مع مدير الشرطة هنا وهناك .. وزار معه ادارة
سكوتلانديارد الشهيرة ، وكم كانت دهشة مدير الشرطة الفرنسي
عظيمة ومبهجة لنفسه حين علم ان كبار مفتشى الشرطة الانجليز
يعرفون المفتش « ميجرية » بالاسم ويبدون اهتماما عظيما
بأساليبه .. وقال مدير الشرطة لهم :

– لماذا لا تأتون يوما الى باريس لتروا بانفسكم طريقته في
العمل ؟

وأخذ الانجليز الرجل الطيب بكلمته .. كما أخذ آل «موتون»
« ميجرية » بكلمته منذ سنوات طويلة حين قال على سبيل
المجاملة ذات يوم :

– لماذا لا تأتيا لتمضية اسبوع في باريس أيام الربيع ؟ لدينا
حجرة نوم للضيوف ، وهى دائما خالية لا يستخدمها أحد ..
وسجلت الدعوة وأصبحت دينا مستحق الاداء فى كل عام ! ..
وهكذا أيضا أرسلت ادارة سكوتلانديارد المفتش « بايك »
استجابة لدعوة مدير الشرطة الفرنسي ، وها هو « بايك » منذ
ثلاثة أيام يلزم « ميجرية » ملازمة الظل فى صمت ولطف وأدب ،
ويجتهد دائما ألا يشعره بوجوده ، ولكن هذا الادب الشديد
كان يزيد من احساس « ميجرية » بوجود « بايك » !

ومع أن المفتش « بايك » فى الخامسة والثلاثين ، أو لعله
ناهز الأربعين ، الا ان منظره لا يدل على حقيقة سنه .. فهو
أقرب الى شكل الطلبة من أهل الجد فى الجامعات ، وهو يقينا ذو
ذكاء حاد ينظر ويسمع ويفكر .. وهو فى تفكيره شديد الاستغراق
حتى لتكاد تسمع حركات مخه وهو يفكر ! وهذه صفة مرهقة
للاعصاب حين يشاهدها الانسان باستمرار ليل نهار .. فقد
خيل للمسكين « ميجرية » أنه موضوع تحت الاختبار ، أو صادر
ضده حكم بالمراقبة .. فكل حركاته وسكناته وكلماته تسجل
تسجيلا دقيقا واعيا داخل ذهن مستر « بايك » الذى لا تعبر
ملامح وجهه عن شىء ..

وفى هذه الايام الثلاثة ، لم يقع شىء طريف يسترعى الاهتمام ..
وانما هى قضايا من النوع الروتينى ، واستجابات لا طرافة

وكان السماع على أذن « ميجرية » وهو ينظر الى المطر المنهمر من خلال النافذة ، ويفكر في ان الجو لابد ان يكون صحوا جدا في بوركيول .. وهى جزيرة صغيرة فى البحر الابيض المتوسط بالقرب من طولون ..

انه لم يذهب الى هذه الجزيرة اطلاقا فى حياته .. ولكنهم كثيرا ما حدثوه عنها . ومن يقضون فيها أياما يعودون منها ، وقد اكتسبت بشرتهم سمرة قاتمة مثل سمرة بدو الصحراء ، وكانت هذه فى الواقع أول مرة يتصل فيها انسان بميجرية تليفونيا من جزيرة وسط البحر ، ولهذا جال بخاطره ان أسلاك التليفون لابد ان تكون ممتدة فى قاع البحر .. وهذا هو السبب فى صعوبة التخاطب ..

- نعم .. ماذا ؟ .. شخص قصير أشقر الشعر فى ليسون ؟
آه .. نعم .. تذكرت ..

وكان « ميجرية » قد التقى بمفتش يدعى « ليشار » فى احدى نوبات عمله بالاقاليم عندما قضى بضعة شهور فى ليسون باقليم الفانديه

- أنت الآن ملحق بالكتيبة الطائرة فى دراجينان .. عظيم ، وأنت تكلمنى الآن من بوركيول ..

وحدثت قرقرة خفيفة فى الخط .. وبين حين وآخر كان يسمع صوت فتيات التليفون يتنادين فيما بينهن من مدينة الى أخرى

- ألو ! باريس .. باريس

- ألو .. طولون .. طولون .. هل أنت طولون ياعزيزتى ؟

ترى هل التليفون فى الجانب الآخر من المانش أصلح حالا منه فى فرنسا ؟ ان مستر « بايك » يصفى ساكن الاسارير ، ويرقب « ميجرية » وهو يعبث بقلم رصاص بين أنامله انقاذا للمظاهر ..

- ألو ! .. هل أعرف « مارسلان » ؟ . ومن هو « مارسلان » ؟

ماذا ؟ .. صياد سمك ؟ .. حاول أن توضح كلامك

يا « ليشار » .. أنا لا أفهم ماذا تريد أن تقول .. ولا ما هو الموضوع .. شخص يعيش فى زورق .. وهو كذلك .. استمر ..

يزعم انه صديقى .. ماذا ؟

كان يزعم ذلك ؟ .. ومات ؟ .. قتل فى الليلة الماضية ؟ ..
ولكن هذا امر لا علاقة له بى يا عزيزى « ليشار » .. فهذه
ليست منطقتى .. تقول انه ظل يتكلم عنى طول السهرة ؟ ..
ولهذا قتل ؟ ..

والقى « ميجرية » قلم الرصاص من يده ، وحاول ان يشعل
غليونه بيد واحدة ، لان يده الاخرى ممسكة بالسماعة ..

- انى آخذ مذكرة ، نعم .. ماذا تقول ؟ .. انه ليس مارسلان
هذه المرة .. آه .. باء باريس .. ألف أصفهان .. ألف .. كاف
كازينو .. واو وردة .. آه ! .. باكو .. هل أرسلت بصمات
الاصابع ؟ .. خطاب منى انا ؟ .. هل أنت متأكد ؟ .. خطاب
على ورق مطبوع عليه عنوان مقهى تيرن ؟ .. ربما .. وماذا قلت
فى ذلك الخطاب ؟ ..

آه لو لم يكن مستر « بايك » جالسا هناك يحدق فيه بتلك
الصورة الثابتة المقلقة !

- قل .. فانى سأكتب ما تمليه .. نعم .. « جينيت ستسافر
غدا الى المصح ، وهى ترسل اليك تحيتها وحبها ، المخلص .. »
وهل التوقيع « ميجرية » ؟ .. كلا .. كلا .. ليس من الضرورى
أن يكون هناك تزوير .. يخيل الى أن للمسألة نصيبا من الصحة
سأذهب وألقى نظرة على الملفات فى الارشيف .. أتقول متى
أحضر ؟ .. أنت تعلم جيدا يا عزيزى « ليشار » ان هذه القضية
ليست فى دائرة اختصاصى ..

وهم « ميجرية » أن يضع المسماع .. ولكنه فى آخر لحظة لم
يستطيع أن يمنع نفسه من القاء سؤال كان يخشى أن يصدم مستر
« بايك » :

- اسمع يا « ليشار » .. هل الشمس مشرقة والجو صحو
هناك ؟ .. رياح المسترال ؟ .. ولكن الجو صحو .. أليس كذلك ؟
حسنا .. اذا توصلت الى أى معلومات سأطلبك .. نعم أعدك
بهذا ..

ولئن كان « بايك » قليل الكلام قليل الاسئلة ، الا أن له نظرة

تجبرك على الكلام .. ولهذا وجد « ميجرية » نفسه يقول له :

- هل تعرف جزيرة بوركيرو ؟

وتشاغل « ميجرية » لحظة باعادة اشعال غليونه الشهير الذى لا يفارق يده او فمه ، ثم استطرد :

- انها جزيرة مشهورة جدا بجمالها .. ويقول الذين زاروها انها فى جمال جزيرة كابرى والجزر اليونانية . وفى الليلة الماضية قتل هناك رجل .. وهذه المنطقة ليست من اختصاصى . ولكنهم عثروا فى زورق القتيل على خطاب منى ..

- وهل كان الخطاب حقيقة صادرا منك ؟

- من الجائز أن يكون صادرا منى فاسم « جينيت » يخيل الى أنه ليس غريبا تماما عن ذاكرتى .. هل تنوى أن تصعد معى ؟

وكان مستر « بايك » يعرف جميع أقسام حكمدارية الشرطة بعد أن طاف بها فى اول يوم . وصعد المفتشان الى الطابق الأعلى حيث أرشيف الملفات .. فكل من كانت له ذات يوم علاقة بالشرطة ، فله ملف فى ذلك الارشيف . وأحس « ميجرية » بشيء من شعور النقص أمام الزميل الانجليزى ، عندما دخلا على ذلك الموظف الفرنسى العجوز ووجداه يمزغ بعض الحلوى فى تكاسل .. وقال « ميجرية » :

- قل لى يا « لانجلو » .. كيف حال زوجتك الان ؟

- ليست زوجتى هى المريضة يامسيو « ميجرية » .. بل

حماتى ..

- آه .. آسف جدا .. هل أجريت لحماتك تلك الجراحة ؟

- وخرجت من المستشفى أمس ..

- عظيم جدا .. والآن انظر فى الملفات ، وابحث لى عن شخص

اسمه « باكو » .. « مارسيل باكو » ..

- مارسيل ؟ ..

- مارسيل أو مارسلان .. وأعطنى الملف ..

ونفض الموظف ، وصعد سلما حديدا .. وبعد قليل هبط وفى يده ملف . وفى الملف بصمات أصابع شخص وصورته الفوتوغرافية من الأمام ، ومن الجانب ، وبدون رتوش ..

وتصفح « ميجرية » الملف :

- « باكو » .. مارسيل جوزيف اتين .. مولود في مدينة الهافر .. المهنة ملاح ..

وقطب « ميغريه » حاجبيه ، وحاول أن يتذكر وقد ثبت نظراته على الصورة ، وهى تمثل الرجل عندما كان فى الخامسة والثلاثين .. نحىلا عليل السحنة ، وتحت عينه اليمنى أثر كدمة سوداء مما يدل على أن الاستجواب فى ذلك الحين كان حاميا جدا قبيل تسليمه لمصور ادارة تحقيق الشخصية ..

وكانت فى الملف أيضا قائمة طويلة تتضمنها صحيفة أحوال «باكو» الجنائية ، تبدأ بجناية سطو وسرقة فى مدينة الهافر ، وعمره يومئذ سبعة عشرة عاما .. ثم سطو وسرقة أيضا فى العام التالى فى مدينة بوردو بالإضافة الى السكر والعربدة فى الطريق ومقاومة سلطات الامن عند القبض عليه .. ثم سطو وسرقة من بيت سيء السمعة فى ميناء مرسيليا ..

وكان « ميغريه » يمسك الملف بحيث يستطيع زميله الانجليزى أن يقرأ ما فيه أثناء تصفحه . وكان مستر « بايك » لا يظهر الدهشة وكأنه يقول :

- ونحن أيضا لدينا فى الجانب الاخر من المانش أشخاص على هذه الشاكلة .. فليس فى هذا جديد ..

- والجريمة الرابعة التعطل والحياة من مصادر غير شريفة وفرض اتاوات على بائعات الهوى ..

فهل ترى لديهم أيضا فى انجلترا مثل هذا ؟ .. معنى هذا الكلام أن « مارسيل باكو » كان قوادا .. والملف يقول أيضا انه فى سن العشرين أرسل لاداء الخدمة العسكرية كالمعتاد . وقضى تلك الخدمة فى الفيالق الافريقية بالجزائر ..

- وبعد التسريح من الجيش قام بالسطو والسرقة فى نانت ..

- ثم سطو وسرقة فى طولون ..

- وفى باريس ارتكب حوادث سرقة بالاتفاق مع بائعات الهوى بحيث ينشل حافظات نقود الرجال من ثيابهم المخلوعة . وضبط فى ثلاث حوادث من هذا النوع .. وفى كل حادثة منها كانت شريكته بائعة الهوى هى المدعوة « جينيت » .. وبعد ذلك هناك جريمة

الاعتداء بمدية سدد بها طعنة الى وجه ثرى ريفى تنبه للسرقة ،
وآثار ضجة ، وحاول ان يضرب « جينيت » ..
وهز المفتش « بايك » رأسه ، وقال بوقار :

— هذا فيما اعتقد أحد الذين تسمونهم فى فرنسا الأوباش ؟
وكانت لكنته الانجليزية — وهو ينطق اللغة الفرنسية — توحى
بالتهمك من غير أن يرمى « بايك » فى الحقيقة الى شىء من ذلك ..
— بالضبط .. وأنا أتذكر الان اننى كتبت اليه خطابا ذات مرة ،
ولا أدرى كيف تعاملون هذا الصنف من الاشخاص فى بلادكم ..
— معاملة قانونية سليمة للغاية ..

— لا شك عندى فى هذا . ولكننا هنا قد نلجأ فى بعض الاحيان
الى استعمال الخشونة معهم . ولكن العجيب فى الامر حقا أنهم
قلما يحقدون علينا لذلك السبب ، لأنهم يعلمون أننا مدفوعون
بالرغبة فى أداء واجبنا ، ومع تكرار التحقيقات تتوطد المعرفة فيما
بيننا ..

وهز المفتش « بايك » رأسه بفطنة ، وقال :

— آه .. لعل هذا هو السبب الذى دعا ذلك الشخص الى القول
بأنه صديقك ؟

— وأنا واثق أنه كان مخلصا فى هذا الزعم ، وأنه يضم لى المودة
.. وأنا أتذكر الآن على الخصوص تلك الفتاة « جينيت » وأتذكر
بوضوح ورقة الخطاب ذات العنوان المطبوع . واذا سنحت لى
الفرصة ، فسوف أريك مقهى تيرن المذكور .. انه مقهى مريح
للغاية ، ويقدم وجبات خفيفة ممتازة .. وبعد ظهر كل يوم ، وفى
الأصيل والمساء ، تجد هناك بضع نساء جالسات فى انتظار ما يأتى
به لهن الحظ من الرزق . وهناك كانت « جينيت » تمارس عملها
متخذة ذلك المقهى مركزا مختارا . وهى فتاة من اقليم بريتانى
الفرنسى ، ومسقط رأسها قرية قرب سان مالو . وفى بداية مقدمها
الى باريس ، كانت خادما فى بيت جزار صغير .. ثم تعرفت
بـ « باكو » وأحبته حب العباداة ..

— وهو ؟ ..

— وهو أيضا .. يكفى أن يأتى ذكرها على لسانه حتى تترقرق

الدموع في عينيه .. هل يدهشك هذا ؟

ولكن ما من شيء كان يدهش مستر « بايك » وسحته الجامدة
لا توحى بأى تأثير أو انفعال ..

- وبمرور الوقت شعرت بالاهتمام بأمرهما .. وكانت الفتاة
مصابة بالسل . ولم تفكر في العلاج حتى لا تبتعد عن صاحبها
« باكو » . فلما تمكنا ذات مرة من زجه في السجن ، ظلت بها حتى
أقنعتها بعرض نفسها على أخصائى في الامراض الصدرية من
أصدقائى ، وأوصيته بها خيرا .. فأرسلها الى مصح للأمراض
الصدرية في اقليم سافوا .. وهذه كل صلتى بهما

- وهذا ما كتبت به الى « باكو » ؟

- نعم .. وكان « باكو » نزيلا في سجن من سجون الضواحي
البعيدة ، ولم يكن عندى في ذلك الوقت متسع للذهاب اليه ..
وأعاد « ميجرية » الملف الى الموظف المختص ، ثم غادر قسم
المحفوظات وهو يقول لزميله الانجليزى :

- والآن ما رأيك فى أن نذهب لنتفدى ؟

- هل تتوقع أن تسافر الى بوركيول ؟

- ليس لى أن أبت فى هذه المسألة ، فأنا من حيث المبدأ لا أعمل
الا فى حدود باريس ومحافظة السين ..

وصحبه « ميجرية » الى سوق باريس الكبير حيث قدم اليه
أطعمة باريسية محلية لا يكاد يعرف الانجليز عنها شيئا ، وكان
« ميجرية » طوال الوقت يتساءل بينه وبين نفسه : ترى ماذا يظن
به ضابط سكوتلانديارد ؟ لقد أرسلوه ليدرس طريقة « ميجرية »
فى التحقيق الجنائى . و « ميجرية » خير من يعلم أنه ليست له
طريقة معينة .. فها هو ذا يجد أمامه بطل الاسطورة رجلا عريض
المنكبين قبيح الشكل غير أنيق الثياب .. والى متى ينوى هذا
الانجليزى أن يلازمه ملازمة الظل ؟ ..

وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال « ميجرية » :

- هذا هو ما نسميه باليوم الراكد .. ليس فيه عمل ذو بال

- وهكذا أيضا نسميه عندنا فى سكوتلانديارد ..

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، عاد الاثنان الى مكتب الشرطة

الجنائية في شارع الصاغة . وكان « كاراتشى » جالسا في حجرة الانتظار ذات الجدران الزجاجية .. وهذا معناه أن الجاويش لوقا وزملاءه لم يظفروا منه بطائل .. ولهذا يردونه الى المفتش «ميجريه» ليعيد سؤاله

وسأل « بايك » :

- هل تناول الطعام ؟ ..

فهز « ميجريه » كتفيه وقال :

- لا أدري .. لعله أكل شيئا . فهم أحيانا يشترون شطائر على حسابهم الخاص ..

- وفيما عدا هذا ؟ ..

- يتركونهم طبعاً .. فالجوع قد يساعد ذاكرتهم على التنبه

وفي هذه اللحظة جاء جاويش ، وقال لـ « ميجريه » :

- السيد المدير يريد أن يراك يا سيادة المفتش ..

- أتأذن لى يا مستر « بايك » ؟ ..

وفي هذه المرة ليس فى استطاعة الانجليزى أن يتعقبه ويدخل معه مكتب المدير ..

وبادره المدير بقوله :

- تلقيت الآن حديثا تليفونيا من دراجنيان ..

- عندى علم بهذا الموضوع ..

- لا بد أن « ليشار » اتصل بك .. هل لديك عمل كثير فى الوقت الحاضر ؟

- كلا .. فيما عدا ضيفى الانجليزى ..

- هل تتذكر ذلك المدعو « باكو » ؟

- تذكرته عندما اطلعت على ملفه ..

- ألا تجد هذه المسألة غريبة بعض الشيء ؟ ..

- كل ما أعلمه هو ما أخبرنى به « ليشار » تليفونيا .. ولكنى

لم أفهم منه شيئا كثيرا ..

- ان الحكمدار كلمنى من هناك باسهاب .. وألح فى ذهابك

شخصيا ، ففى رأيه أن « باكو » لقى حتفه بسببك !

- بسببى أنا؟! ..

- انه لا يجد تفسيراً آخر للجريمة .. فمنذ سنوات طويلة
والقتيل « باكو » يعيش في جزيرة بوركيول في زورقه الخاص ،
وقد أصبح شخصية محبوبة هناك . وفهمت انه كان يعيش عيشة
أفاق متشرد متسول أكثر من اعتماده على صيد السمك . ويقضى
طول فصل الشتاء من غير أن يقوم بأى عمل .. أما في فصل الصيف
فيحمل في زورقه السائحين والمصيفين لصيد السمك فيما حول
الجزر الصغيرة المنتشرة هناك . وليس هناك شخص له أقل مصلحة
في موته .. وليس من المعروف أن له أعداء . ولم يسرق منه بعد
مقتله شيء ، لسبب وجيه جدا هو أنه لم يكن يملك شيئا يمكن أن
يسرق !

- وكيف قتل ؟ ..

- هذا بالضبط هو ما يحير حكمدار الاقليم ..
ويرجع المدير الى ملاحظات قليلة كان قد دونها أمامه على عجل
أثناء حديثه الطويل مع الحكمدار .. ثم استطرد :

- أنا لا أعرف المنطقة شخصيا ، ولهذا ليس من السهل أن تقدم
لك صورة دقيقة .. وعلى كل حال ففي مساء أول أمس ..
وقاطعه « ميجه » بدهشة قائلا :

- أول أمس ؟ أعتقد أنه قيل لى أن الجريمة وقعت أمس ..

- اسمع أولا .. أول أمس كان عدد من الناس متجمعين حول
« سفينة نوح »

- سفينة نوح ؟! ..

- هذا في الغالب اسم حانة أو مقهى في ذلك المكان ، والظاهر أنه
في هذا الأوان من العام يكون عدد السكان قليلا جدا ، بحيث يعرف
كل واحد منهم الآخرين . وكان مارسلان باكو في سفينة نوح أول
أمس كالمعتاد .. ودار حديث عام متشعب ، ولسبب ما ذكر
مارسلان اسمك ..

- ولكن لماذا ؟ ..

- ليست عندي أدنى فكرة عن السبب بالضبط .. ولكن الناس
يتكلمون عادة بغير تحفظ عن الشخصيات المشهورة ، وخصوصا وهم
يحتسون الخمر . المهم أن مارسلان زعم للحاضرين أنه صديقك ،

ولعل بعضهم أعربوا عن ارتيابهم في مطابقة كفاءتك الحقيقية لشهرتك
المستفيضة . والمهم على كل حال أن مارسلان دافع عنك بحماسة
خارقة للعادة ..

– وهل كان ثملا ؟ ..

– قيل لى انه كان يشرب كثيرا .. وقيل لى أيضا أن رياح
« المسترال » تهب بكل عنفوانها على تلك المنطقة في هذه الايام .
ولهذا لم يتوجه مارسلان في نهاية السهرة لينام في زورقه كما هي
عادته ، بل ذهب الى كوخ مهجور بقرب المرفأ تعود الصيادون أن
ينشروا حوله شباكهم لتجف . ولما عثروا بجثته في الصباح اتضح
أنه تلقى في رأسه عدة طلقات من مسافة قريبة جدا ، كما تلقى طلقة
في كتفه .. مما يدل على أن القاتل أفرغ شحنة مسدسه كلها فيه
.. ولم يكفه هذا ، فضرب وجهه بألة ثقيلة وبوحشية فائقة .. !

وشرد بصر « ميغريه » من خلال النافذة حيث كان المطر ينهمر
بلا انقطاع ، ثم حلقت خواطره الى صحو الريفيرا وسمائها الصافية
واستطرد مدير الشرطة :

– وحكمدار الاقليم هناك اسمه « بوافير » . وهو شخص لطيف
أعرفه منذ سنوات طويلة ، وأعلم أنه لا ينفعل بسرعة . وقد ذهب
بنفسه الى مسرح الجريمة ، ولكنه سيعود الى مقر عمله هذا المساء .
وهو متفق مع « ليشار » في أن الحديث عنك كان هو السبب المباشر
في الجريمة .. بل فهمت منه أن الرصاص الذى أطلق على مارسلان
كان المقصود به في الحقيقة هو أنت في شخص مارسلان .. !
– ولكن لماذا ؟ ..

– يبدو أن هناك شخصا يضمن لك من الحقد الأعمى ما يحمله
على انتزاع روح أى انسان يزعم أنه صديقك ويدافع عنك .. !
– هل هناك أشخاص بهذا الوصف في بوركيول ؟

– هذا هو الامر الذى حير عقل الحكمدار « بوافير » . ففي
جزيرة صغيرة مثل تلك الجزيرة لا يمكن أن ينزل بها أو يرحل عنها
أحد من غير أن يكون معروفا معرفة تامة . وليس بين المقيمين هناك
الآن أى شخص من المشتبه في أمرهم .. اللهم اذا بدأنا نشتبه في
الناس على غير أساس ، فما رأيك أنت ؟

- رأيت أن مستر « بايك » سيرحب كثيرا برحلة الى الريفييرا!
- ومتى تنوى أن تسافر ؟ ..
- سأستقل قطار الليل ..
- مع مستر « بايك » ؟ ..
- وهل من ذلك مفر ؟ ..



وفي الوقت المحدد كان الاثنان في محطة ليون بباريس .. ورأى « ميجرية » من الواجب أن يكرم ضيفه ويحفظ كرامة الحكومة الفرنسية ، فحجز مكانين في عربة النوم الفاخرة ..

وفي دهليز القطار الفخم شعر « ميجرية » بالوحشة والعزلة وسط هذه الثياب الانيقة واللالء والعطور والازهار . وحتى الحقائق التي يحملها المسافرون كانت من نوع غالى الثمن كأنها صناديق التحف . وقال « ميجرية » لزميله الانجليزى فى شبه اعتذار :

- هذا هو السهم الازرق .. أفخم قطارات أوروبا ..
- وفي القمرة الفاخرة شعر « ميجرية » بالحرص لاضطراره لخلع ثيابه أمام زميله الغريب . ولكن الشاب الانجليزى الذى نشأ فى ملاعب الرياضة وميادينها كان على سجيته تماما ، وهو يخلع ثيابه ويرتدى منامة ورداء حريريا عقده وهو يقول بحماسة :
- ها نحن أخيرا فى طريقنا الى قضية طريفة ..
- أرجو هذا يا مستر « بايك » ..
- هل أحضرت معك صورة أو نسخة من ملف باكوى يا مسيو « ميجرية » ؟
- كلا ..
- وارتفع حاجبا « بايك » قليلا وهو يقول :
- حقا ؟ ..
- واحمر وجه « ميجرية » وهو يقول :
- أعترف أننى لم أفكر فى ذلك ..
- وهل اهتممت بتسقط المعلومات عن تلك المرأة « جينيت » ؟
- كلا ..

وخيل لـ « ميجريه » أن نظرات « بايك » كانت تنم عن التآنيب لهذا الإهمال الشديد .. ولكنه لم يقل شيئا .. بل سأل « ميجريه » :

– وهل احضرت معك أمرا بالقبض « على بياض » ؟
– ولا هذا أيضا .. كل ما احضرته معي اذن بالتحقيق وتوجيه الاستجواب الى كل من أرى من مصلحة القضية توجيه الاسئلة اليه ..

– وهل تعرف بوركيول ؟ ..

– بل لم تطأ قدمي تلك الجزيرة من قبل .. ولا أكاد أعرف شيئا عن تلك المنطقة . وكل ما هناك أننى كلفت باستجلاء غوامض قضية ذات مرة في الريفيرا ، في منطقتي أنتيب وكان . وكل ما أذكره أن الحرارة كانت شديدة بحيث كنت أجد صعوبة في مغالبة النعاس ! وبدت رنة خفيفة من الدهشة في صوت « بايك » وهو يسأل :

– ألا تحب منطقة البحر الابيض المتوسط ؟

– أنا في العادة أكره الأماكن التي أفقد فيها رغبتى في العمل ..

– وهل هذا لأنك تحب العمل ؟ ..

– لا أدري ..

وكانت هذه هي الحقيقة .. فهو يستاء ويسخط كلما ندب لتحقيق قضية غريبة تقطع عليه روتين حياته اليومي . ولكنه في الوقت نفسه اذا استمر في روتينه اليومي بضعة أيام متوالية شعر بالقلق والضيق لعدم تكليفه بقضية تستنفد طاقته وتستثير ذهنه

– أتنام نوما طيبا في القطارات يامسيو « ميجريه » ؟

– أنا أنام نوما عميقا في كل مكان ..

– ألا يساعدك القطار على التفكير ؟

– قلما أفكر يامستر « بايك » ! ..

– هل أفهم من هذا أنك تضع في رأسك خطة معينة لمباشرة

التحقيق ؟

– ليست لدى أى فكرة عن خطة للتحقيق ..

– شكرا لك يامسيو « ميجريه » ..

وخيل لـ « ميجريه » من لهجة « بايك » أنه سجل بدقة هذه

الناقشة الطريفة في ذهنه ليضمنها تقريره الى رؤسائه حين يعود الى سكوتلانديارد او ليجمع زملاءه حوله ويقف امام سبورة ليلقى عليهم محاضرة عنوانها : « قضية اشرف على جلاء غوامضها المفتش « ميجرية » .. »

وابتسم « ميجرية » في سخرية ، وهو يدخن غليونه ، وهو يتصور خيبة أمل « بايك » لو أن القطار وصل بهما الى نهاية المرحلة ليجدا « ليشار » يندفع مهللا نحو عربة النوم ليقول لهما : - انتهى كل شيء ! وقبضنا على السكير الذي ارتكب الجريمة . وقد اعترف بكل شيء !

وقطع الصمت صوت « بايك » وهو يقول :

- ما رأيك في جرعة من الويسكى قبل النوم ؟

وقدم اليه زجاجة ويسكى صغيرة من الفضة يستعمل سدادها كأسا .. وتناول « ميجرية » الزجاجة الانيقة وشرب كأسين . ولم يستسغ « ميجرية » طعم الويسكى . ولكنه شرب ، تحذوه الرغبة في انزال العقاب بنفسه . وخطر له أن « بايك » ربما كان أيضا لم يستسغ النبيذ الفرنسي الذي ظل يقدمه له ثلاثة أيام متوالية ..

واستغرق « ميجرية » في النوم .. وكان لديه احساس بأنه يغط في نومه غطيظا مرتفعا . ولما استيقظ شاهد أشجار الزيتون على ضفاف نهر الرون فعلم أن القطار تجاوز أفينيون ..

كانت الشمس مشرقة .. والضباب الخفيف يبدو ذهبى اللون فوق شاطئ النهر . وألقى نظرة على رفيقه الانجليزي ، فوجده قد فرغ من حلقة لحيته وارتدى ثيابه باتقان تام وعناية كاملة من الرأس الى القدم ، ووقف في الدهليز ينظر من النافذة وقد ألصق وجهه بزجاجها .. !

ولما دخل « ميجرية » حجرة الفسيل الملحقة بقمرة النوم وجدها نظيفة تماما كأنها لم تستعمل ، ووجد فيها رائحة خفيفة من عطر اللافاندر ..

وشرع « ميجرية » يفتش وهو يزمجر عن موسى الحلاقة في حقيبته السيئة الترتيب ، وقد داخله الخجل من سوء نظامه ومظهره امام هذا الغريب ..

نحو الجنوب

وصل القطار الى محطة هاير ، فاذا بأشجار النخيل المفروسة فيما حول المحطة ساكنة لا تتحرك سعفاتها الخضراء تحت شمس أشبه في حدتها بشمس الصحراء . ومن المحتمل أن المدينة شهدت سوقا هاما عقد بها هذا الصباح لمناسبة عيد محلى أو مولد . . فهناك عربات وسيارات نقل كبيرة تحمل « أهرامات » متحركة من الخضر والفاكهة والازهار !

وأحس مستر « بايك » بمثل ما أحس به « ميجرية » من تسارع خفيف في أنفاسه ، فهذا عالم جديد يدخل اليه . . عالم من الأشعة والصفاء والدفء ليس من اللائق أن يرتدى فيه الانسان الملابس القاتمة التى كانت متناسبة بالامس تمام التناسب مع المطر المنهمر فى شوارع باريس . .

وكان خجل « ميجرية » من ثيابه القاتمة واضحا ، وقد وقف أمامه المفتش « ليشار » فى بدلة بيضاء ناصعة خفيفة وقميص مفتوح ، وقد اسمر جبينه من التعرض للشمس فى هذين اليومين . ولم يعرفه « ميجرية » على الفور ، لانه يتذكر الاسم أكثر مما يتذكر الوجه . ولا سيما أن « ليشار » كان يشق طريقه بين الحمالين الذين تزدهم بهم المحطة ، فيظنه من لا يعرفه شخصا من أبناء تلك المنطقة بقامته القصيرة وجسمه الناحل ورأسه العارى . . وفوجيء به يقول :

— من هنا ياسيدى الكبير ! . .

و « الكبير » هذه اختزال لكلمة كبير المفتشين ، وهى الصفة الرسمية « لميجريه » .. وهو اختصار استاء له جدا ، لما فيه من رفع التكليف .. وهو لا يدري ماذا سيكون رأى « بايك » بصدده . وهل يسجله فى قائمة المحاسن أو قائمة المساوىء ..!

وقدم « ميغريه » صديقه الانجليزى قائلا :

– أنت تعرف يامستر « بايك » الشئ الكثير عن المفتش « ليشار » ..

ثم التفت الى « ليشار » وقال له :

– اسمح لى أن أقدم اليك زميلا من انجلترا هو مستر « بايك » المفتش فى سكوتلانديارد ..

فقال « ليشار » بسذاجته الصريحة :

– وهل هم أيضا مشتركون فى التحقيق ؟

ويظهر أن قضية مقتل « باكو » كانت قد استولت على مشاعر الاخ « ليشار » استيلاء تاما بحيث لم يكن موضع الدهشة – فى نظره – أن تفدو مشكلة دولية !

وقال « ميغريه » برزانة مقصودة :

– مستر « بايك » موجود الان بفرنسا فى دورة دراسية ..

وأثناء مسيرهم مخترقين الزحام ، كان « ميغريه » يعجب أشد العجب من الطريقة الفريبة التى يمشى بها « ليشار » وهو يلوى عنقه بحركات عنيفة ويقول :

– يجب أن نسرع باختراق هذا الزحام .. وهناك سيارة أحضرتها عند مدخل المحطة لتكون تحت تصرفنا ..

والسيارة من ذلك النوع الصغير الذى تستخدمه الدوائر الحكومية أحيانا . وبمجرد استقرارهم بداخلها ، تنهد المفتش « ليشار » بارتياح وقال :

– لابد من الاحتياط .. فالجميع يعلمون أنك كنت المقصود بالجريمة

وعندئذ أدرك « ميغريه » أن « ليشار » كان يمشى فى الزحام بهذه الطريقة ويتلفت بهذا الشكل المفصوح مبالغة منه فى حمايته !

وقال « ليشار » بعد ذلك :

— هل أخذكما مباشرة الى الجزيرة ؟ لا اظن ان لديكما ماتفعلاانه
هنا في هايير .. اليس كذلك ؟

وانطلقت بهم السيارة .. وكانت الارض مستوية مقفرة والطرق
محفوفة بأشجار ذات ظل وخضرة دائمة . وبين الحين والحين ،
تبدو للنظر شجرة نخيل .. أما على الجانب الايمن فكانت
المستنقعات الملحية والملاحات الجافة تتناثر ، فكادت هذه المناظر
تشعرهما بالانتقال كلية من أوروبا الى افريقيا حيث تكون السماء
بهذه الزرقة المثالية وحيث الهواء ساكن تماما ..

وغاظ سكون الهواء « ميجرية » فسأل « ليشار » بشيء من
التهكم :

— وأين « المسترال » التي تهب على هذه المنطقة ؟

— توقف هبوبها فجأة أمس مساء . وكان هذا من حسن الطالع،
لأنها ظلت تهب تسعة أيام باستمرار .. وهذا وقت كاف لدفع
المرء الى الجنون !

ولم يأخذ « ميجرية » هذا الكلام مأخذ الجد .. فأهل الجنوب
— وجنوب فرنسا يبدأ عند ليون — لم يأخذوا رياح « المسترال »
الموسمية مأخذ الجداطلاقا . وأرتسمت على وجه « ميجرية »
ابتسامة استهانة . أما مستر « بايك » فكان على عادته يتظاهر بعدم
الاكتراث ..

واستطرد « ليشار » يقدم البيانات لميجرية :

— لم يفادر أحد الجزيرة .. ففي استطاعتك أن تستجوب أى
شخص كان موجودا فيها عندما قتل « باكو » ..
— والصيادون ؟ .

— لم يكونوا في تلك الليلة في البحر بسبب العاصفة التي أثارتها
رياح « المسترال » ولكن زورقا من زوارق الطوربيد أتى من طولون
مع عدد من الفواصات للقيام بالتدريبات في مؤخرة الجزيرة . وقد
اتصلت تليفونيا بقيادة الاسطول فأخبروني أنهم متأكدون من أن
هذه القطع الحربية لم تكن تلك الليلة راسية على شواطئ الجزيرة

- ومعنى هذا أن القاتل لم يزل في الجزيرة ..
فظهرت الحيرة على وجه « ليشار » وهو يقول :
- ستتحقق من هذا بنفسك ..

وحلال « ليشار » أن يقوم بدور المقيم القديم الذي يعرف المسالك
والناس .. أما « ميجرية » فهو القادم الجديد الذي لا يعرف
المسالك ولا الناس . وهو دور لم يكن يروق كثيرا للمفتش
« ميجرية » !

وبعد مسيرة نصف ساعة أبطأت السيارة ، ثم وقفت عند منطقة
صخرية ليس بها شيء يميزها اللهم الا حانة من طراز حانات
الجنوب ، وبضعة أكواخ يسكنها الصيادون مطلية باللون الاحمر
واللون الازرق الفاتح . ومن وراء ذلك بحر لا تشبه زرقة أى زرقة
أخرى اللهم الا تلك الزرقة التى تشاهد على المصورات البريدية .
وعلى خط الافق جزيرة صغيرة تتناثر فيها التلال الخضراء والصخور
الحمراء والصفراء . ولاحظ « ميجرية » أن الانجليزى فتح فاه من
فرط روعة المنظر ، فداخل « ميجرية » الزهو الشديد بوطنه ..

وأمام مرساة السفن الخشبية الصغيرة ، كان هناك زورق صيد
فى الانتظار مطلق بلون أخضر فاتح تتخلله خطوط بيضاء . وقال
« ليشار » :

- هذا الزورق تحت أمرنا .. فقد طلبت من جبريل أن يحضرنى
فيه ثم ينتظر كما ، فالسفينه التى تقوم بالخدمة المنتظمة فى هذا
الخط اسمها « كورموران » ولا تأتى الا مرتين : الاولى فى الثامنة
صباحا ، والاخرى فى الخامسة مساء .. وجبريل من عشيرة « جالى »
- وما أهمية هذا ؟ ..

- اسمح لى أن أفسر هذه المسألة .. فالناس فى هذه المنطقة
ينتمون الى عشيرتين هما عشيرة جالى وعشيرة موران . وسكان
الجزيرة أيضا ينتمون الى هاتين العشيرتين ..

وأخذ « ليشار » يحمل الحقائق ، وهى ليست كبيرة الحجم فى
حد ذاتها .. ولكنها كانت تبدو أكبر حجما وهو يحملها بذراعيه
الهزيلين القصيرين ..

وإدار جبريل محرك الزورق الصغير . . وبدا المنظر كله وكأنه
نزهة مرحة أو جزء من حكاية مما يروى للأطفال ، فلا يكاد يصدق
العقل أنهم هنا بسبيل استقصاء ظروف مقتل انسان ! . .
وقال « ليشار » :

– لم يخطر لى أن أقترح عليكم مشاهدة الجثة ، وهى موجودة
فى هاير . . وقد أجرى التشريح بواسطة الطبيب الشرعى أمس
صباحا . .

والمسافة بين هذا المرسى المسمى رأس جينس وبين جزيرة
بوركيول تبلغ نحو ثلاثة أميال . وكلما تقدم الزورق يشق وجه
الماء الناعم كالحرير ، كانت معالم الجزيرة تزداد اتضاحا بخلجانها
وتلالها وقلاعها القديمة وسط المروج الخضراء . وعند مركز الجزيرة
مجموعة من البيوت الصغيرة ذات الالوان الفاتحة ، وكنيسة بيضاء
ذات برج رشيق . .

وكان الانجليزى ينظر مبهورا . . ثم سأل « ليشار » :

– أتظن أنه فى استطاعتى أن أحصل من هنا على ثوب للاستحمام؟

ولم يكن مثل هذا الخاطر قد جال بذهن « ميجهريه » وهو منحني
فوق حاجز الزورق . . فسدد النظر الى الماء ، واكتشف أن قاع
البحر لايبعد أكثر من ثلاثين قدما . . والماء صاف بحيث يتبين
الناظر جميع تفاصيل ذلك القاع . وما أجمل تلك الصخور الصغيرة
المكسوة بالطحالب الخضراء ، والاسماك تمرح فيما بينها فى قطعان
شبيهة بقطعان الماشية . .



ومن خصائص هذه البقاع الا يبدأ الانسان فى التعود عليها الا بعد
برهة معينة . . فكل شىء فيها يبدو عند البداية غريبا . وعند مرسى
الزورق فى الجزيرة شاهد « ميجهريه » حفنة من الرجال واقفين فى
الانتظار . ورأى عددا من صيادى السمك فى زوارق مطلية بألوان
تجعلها أشبه بزينة عيد الميلاد !

وكانت جميع العيون مسلطة على الرجال الثلاثة وهم يهبطون
من الزورق . ولم يفت عين « ميجهريه » الفاحصة أن أولئك الناس
فيهم عناصر متباينة . . فهناك مثلا رجل يرتدى ثيابا بيضاء وعلى

رأسه قبة بيضاء . وقد حيا الرجل « ميغريه » برفع يده ، ولم يعرفه « ميغريه » لأول وهلة . ولكن « ليشار » همس في أذنه قائلا :

— هذا « شارلو » !

ولم يثر هذا الاسم أى ذكرى لدى « ميغريه » . . . وأقبل عملاق حافى القدمين نقل الحقائب الى عجلة صغيرة من غير أن ينطق بكلمة ، ثم دفعها فى اتجاه ميدان القرية . . . ومن ورائه سار « ميغريه » و « بايك » و « ليشار » ، ومن خلفهم الحاضرون من أهل القرية . . . فتألف من الجميع موكب عجيب صامت . . . وميدان القرية متسع مقفر ، تحف به أشجار الكافور والبيوت الملونة والكنيسة الصفراء ذات البرج الأبيض ، وبضع مقاه ذات شرفات مظلة

قال « ليشار » :

— كان فى استطاعتى أن أحجز لكما غرفتين فى جراند أوتيل . . . والفندق عبارة عن بناء متوسط الحجم يطل على المرفأ ، وعند مدخله وقف رجل فى ثياب الطباخين . . . واستطرد قائلا :

— ولكنى فضلت أن أحجز حجرات فى « سفينة نوح » . . . لأسباب أستطيع أن أبينها للمفتش . . .

وشرفة « سفينة نوح » المطلة على الميدان أرحب من الشرفات الأخرى ، وتحف بها أشجار صغيرة ونباتات خضراء . أما فى الداخل فالقاعة معتمة قليلا ورطبة . . . وهذا شىء مستحب بالنسبة لشدة الحرارة وشدة الضوء فى الخارج . وتشيع فى المكان رائحة الطهو والنبيد الأبيض . . .

وتقدم رجل يرتدى زى الطباخين ولكنه عارى الرأس ، فمد يده وعلى وجهه ابتسامة مشرقة . . . وقال مرحبا :

— ما أسعدنى بقدمك يامسيو « ميغريه » . لقد خصصت لك أحسن حجرة عندى ، وبطبيعة الحال ستتنازل بقبول كوب من نبيذنا الأبيض الذى نصنعه محليا . . . أليس كذلك ؟

وهمس « ليشار » :

— هذا « بول » .. صاحب الخان ..

وكانت الارض مبلطة بالقرميد الاحمر .. أما البار فمكسو بطبقة
من المعدن الابيض النظيف على طريقة بارات باريس ، وكان النبيذ
الابيض المصنوع محليا باردا منعشا يمتاز بنكهة قوية

واستطرد الرجل قائلا :

— فى صحتك يامسيو « ميجرية » .. أنا لم أكن أحلم فى يوم
من الايام أن يتاح لى الشرف العظيم باستقبالك فى خانى المتواضع
ولم يخطر ببال الرجل الساذج أنه مدين لهذا الشرف بجنایة
قتل . ولكن مامن أحد فى الجزيرة ، كان يبدو عليه أدنى اكتراث
لوفاة « باكو » المسكين . . فمجموعة الناس الذين كانوا واقفين
عند المرسى قد حضرت برمتها الى الميدان . وهاهم يقتربون من
« سفينة نوح » .. بل ان فريقا منهم قد جلسوا فعلا على موائد
الشرفة الخارجية

وقصارى القول أن الحادث المهم فى نظرهم ليس الجريمة التى
وقعت بين ظهرانيتهم ، بل وصول « ميجرية » بلحمه ودمه .. وكأنه
فى نظرهم نجم من نجوم السينما !

هل تراه كان حسن الوقع فى نفوسهم ؟ وهل رجال
سكوتلانديارد يشعرون بمزيد من الثقة بأنفسهم وهم على أهبة
استجلاء غوامض قضية ؟ لا سبيل الى معرفة هذا الامر .. فهاهو
مستر « بايك » يرقب كل شىء بنظراته ولا ينم وجهه عن شىء ، ولا
يقول شيئا ..

وتنهذ « ميجرية » بعد برهة ، وقد استقر فى جوفه كوبان كبيران
من النبيذ الابيض وقال :

— أود أن أذهب وأغسل وجهى من غبار السفر ..
فصاح « بول » :

— « جوجو » ! خذى المسيو « ميجرية » الى حجرته .. هل
سيصعد معك صديقك أيضا يا حاضرة المفتش ؟
و « جوجو » خادم سمراء ضئيلة الجسم ترتدى ثوبا أسود ،
وجهاها باسم ونهداها بارزان ..

وكان المبنى كله معبأ برائحة زيت الزعفران المستخدم في طهي
السماك . والارض في الطابق العلوى مكسوة بالقرميد الاحمر مثل
قاعة البار . وليست هناك سوى أربع حجرات ، وقد حجزوا فعلا
أفضلها لكبير المفتشين وهى حجرة ذات نافذة تطل على الميدان
ونافذة تطل على البحر ..

وتحير « ميجرية » وأخذ يسأل نفسه : هل ينبغى أن يتركها
لمستر « بايك » ؟ ولكن تردده طال حتى فانت الفرصة . فها هى
الفتاة تشير للمفتش الانجليزى الى باب حجرة أخرى ..

وسألت الفتاة « ميجرية » :

— هل أنت بحاجة الى شىء آخر يامسيو « ميجرية » ؟ . الحمام
في نهاية الدهليز .. وأعتقد أن به الآن ماء ساخنا ..

وكان « ليشار » قد صعد معه .. وذلك أمر طبيعى . ولكن
« ميجرية » لم يدعه للدخول معه الى حجراته ، اذ خيل اليه أن في
ذلك اجحافا لصديقه الانجليزى .. فقد يتوهم أنهما يخفيان عنه
بعض أسرار العمل ..

وقال « ميجرية » :

— سأهبط بعد دقائق معدودة يا « ليشار » ..

ثم خطر أن يجبر خاطر « ليشار » بكلمة .. وتذكر أنه حينما
قضى فترة من خدمته في « ليسون » كانت مدام « ليشار » الجميلة
شخصية موضع اهتمام . فقال :

— كيف حال مدام « ليشار » الفاتنة ؟

فأربد وجه « ليشار » وقال :

— ألم تبلغك الأنباء ؟ . لقد هجرتنى .. هربت منذ ثمانى
سنوات مع موسيقى أفاق .. !

وسخط « ميجرية » على نفسه ، ولم يحرج جوابا ..

وعندما خلا بنفسه فى المخدع ، خلع ستريته وغسل يديه وأسنانه
ووجهه واستلقى على الفراش فى مواجهة النافذة بضع دقائق .
ووجد الفراش وثيرا والاثاث العتيق مريحا ، وتردد فى هل ينزل
الى البار بالقميص والبنطلون لشدة الحر .. أم أن مهمته الرسمية
تحتم عليه ارتداء السترة ..

وأخيرا فضل الراى الثانى .. وعندما نزل وجد عددا من
الاشخاص امام البار ومعظمهم من صيادى السمك . اما « ليشار »
فكان فى انتظاره عند الباب ..
- هل لك رغبة فى المشى ؟

- يحسن بنا أن ننتظر مستر « بايك » ..

- لقد ذهب ..

- الى أين ؟

- الى الماء .. أقرضه « بول » ثوبا للاستحمام ..

وهز « ميجرية » كتفيه مستسلما .. واتجه مع « ليشار » على
غير هدى ، فقادتاهما الاقدام وانحدار الارض الى المرفأ . وقال
« ليشار » :

- أعتقد أنك يجب أن تكون حريصا جدا يامسيو « ميجرية » ..
فأيا كان الشخص الذى قتل « باكو » فهو انسان يضرر حقدا
شديدا عليك .. وسيحاول أثناء وجودك هنا أن ينتقم منك !..!

ولم يعلق « ميجرية » على هذا الكلام ، بل قال :

- يحسن أن ننتظر هنا الى أن يخرج مستر « بايك » من الماء ..

فأشار « ليشار » الى رأس يعلو ويهبط بين الزوارق وقال :

- هل هو مشترك فى تحقيق القضية ؟ .

- كلا .. ولكنه يتتبع التحقيق كمراقب غير رسمى . وليس من
اللائق أن يبدو علينا وكأننا ندبر خطة لحل غوامض القضية من
وراء ظهره ..

- أعتقد أن الجرانند أوتيل كان حريبا أن يوفر لنا مزيدا من
الهدوء . وهو فندق فخم وليس به نزلاء فى هذا الوقت . ولكن
« بول » صاحب « سفينة نوح » هو الشخص الذى يحبه الجميع ،
وفى خانه يلتقى جميع سكان القرية . وهناك أيضا بدأت تلك المشادة
التي ذكر فيها « باكو » اسمك ، وزعم أنك صديقه ..

- فلنرجىء هذا الكلام الى حين عودة مستر « بايك » ..

- أتريد أن تستجوب الناس فى مواجهته ؟ .

- بل ينبغى أن أفعل هذا من باب اللياقة ..

ولم يرق هذا الكلام لـ « ليشار » .. ولكنه لم يستطع ان يبدي
احتجاجه ..

- واين تريد ان تستدعيهم ؟ . لا اظن ان هناك مكانا انسب من
البلدية . وهى عبارة عن قاعة واحدة بها مقاعد ومنضدة كبيرة
ورايات وتمثال نصفى للجمهورية .. والعمدة هو صاحب دكان
البقالة المجاور لخان « سفينة نوح » ..

وأقبل مستر « بايك » يمشى فى الماء ، ثم خرج الى الشاطئ وهو
يقول لهما :

- الماء هنا بديع للغاية ..

فقال له « ميجرية »

- فى وسعنا أن ننتظرك هنا الى أن تذهب وترتدى ثيابك ..

- أنا على مايرام هكذا ! ..

وأشار بيده الى يخت أسود اللون فى عرض البحر تخفق على
مقدمته الراية البريطانية ، ثم سأل :

- من هذا ؟ ..

فقال له « ليشار » :

- هذه السفينة تسمى كوكب الشمال . وتأتى لترسو هنا كل
سنة تقريبا . وصاحبتها مسز « الين ويلكوكس » . وهذا كما تعلم
اسم ماركة مشهورة من ماركات الويسكى .. وهذه السيدة هى
صاحبة مصنع الويسكى ..
- أهى صغيرة السن ؟ .

- صحتها جيدة ولا يبدو عليها العمر .. وهى تعيش على ظهر
اليخت مع سكرتيرها الخاص « فيليب دى موريكور » . وفى
خدمتها نوتيان ، ويقيم فى الجزيرة انجليزى آخر يعيش هنا طوال
العام . وفى استطاعتك أن ترى بيته من هذا المكان ، انه البيت
الذى بجواره المنارة ..

ولم يظهر على مستر « بايك » التحمس الشديد للالتقاء
بمواطنيه الغرباء .. واستطرد « ليشار » فى شرحه :

- واسمه ميجر « بلام » .. ولكن الاهالى هنا ينادونه باسم
الميجر فقط . وأحيانا باسم « تيدى »

– أظنه من ضباط الجيش الهندي ؟

– لا أدري ..

– هل يفرط في الشراب .. ؟

– نعم .. كثيرا .. وستراه الليلة في « سفينة نوح » .. بل الواقع أنك ستري الجميع في السفينة الليلة بما فيهم مسز ويلكوكس وسكرتيرها الخاص ..

– وهل كانوا كلهم هناك عندما تكلم « باكو » عنى ..

– نعم يامسيو « ميجرية » .. فالجميع يسهرون كل ليلة تقريبا في « سفينة نوح » في جلسات شبه عائلية . وبعد أسبوعين ، سوف يتقاطر السواح الى هنا وتتغير الاحوال . أما الان فلا تزال الحالة كما كانت في الشتاء .. السكان قليلون ، وكلهم أشبه بأعضاء أسرة واحدة .. ومعهم زبائن كل سنة الذين يحضرون مبكرا ويعتبرون تقريبا كالأهالى . وأما الميجر فيسكن المنارة منذ ثمانية أعوام طول السنة .. وأما الفيلا المجاورة لها فيملكها مسيو « اميل » ..

وألقى « ليشار » نظرة تردد على « ميجرية » .. وهذا يدل على أن « ليشار » كان يشعر أيضا في وجود المفتش الانجليزى ببعض الحرج لاسباب قومية .. وسأله « ميجرية » :

– مسيو « اميل » ؟ . من هو ؟ .

– أنت تعرفه .. أو هو على الاقل يعرفك . فهو يعيش هنا مع أمه العجوز « جاستين » . وهى من أكثر النساء شهرة على ساحل الريفيرا ، لانها صاحبة « الازهار » في مرسيليا و « الحوريات » في نيس . وصاحبه ثلاثة من أشهر البيوت في طولون وأفينيون وبيزى – ترى هل أدرك مستر « بايك » أى نوع من البيوت هذه التى يتكلم عنها « ليشار » ؟

– ... وجاستين فى التاسعة والسبعين من عمرها .. وكنت أحسب أن عمرها يزيد على ذلك ، لان مسيو « اميل » يعترف ببلوغه الخامسة والستين . ويبدو أنها أنجبته وهى فى الرابعة عشرة . فهذا على الاقل ماقلت له لى بالامس .. والاثنان يلزمان الاعتكاف والهدوء ولا يزوران أحدا . انظر ! .. تستطيع أن ترى

من هنا مسيو « اميل » في حديقته مرتديا بدلة بيضاء وقبعة بيضاء
وكأنه فأر أبيض .. ولديه زورق صغير ، شأنه في ذلك شأن كل
انسان هنا . ولكنه لا يبحر به مطلقا ، بل يجلس فيه وهو مربوط
الى المرسى ويقضى ساعات في الصيد ..

وكان الرجال الثلاثة يسيرون على الرمال على طول الوجهات
الخلفية للبيوت المطلة على الميدان ..
واستطرد « ليشار » يقول :

- هناك شخصية محلية أخرى لها أهميتها .. ولعلنا سنتناول
طعامنا الليلة على مائدة مجاورة لمائدته .. انه « شارلو » الذى لوح
لك يامسيو « ميجرية » عند نزولك من الزورق . وقد طلبت منه
أن يبقى هنا ولا يرحل كما كان يريد .. ولم يبد اعتراضا . ومن
الغريب حقا أنه مامن أحد أبدى رغبة فى الرحيل بعد الجناية ،
والجميع يلتزمون الهدوء التام ..

وسأله « ميجرية » :

- واليخت الكبير ؟ .

وكان هناك حقا يخت أبيض ضخيم غير جميل الشكل ، مصنوع
من المعدن ويكاد يملأ المرفأ الصغير .. فقال « ليشار » :

- هل تعنى « اليسون » ؟ .. انه يبقى هنا طول السنة ويملكه
أحد رجال الاعمال فى ليون واسمه مسيو جورجى .. ولا يستعمله
الا أسبوعا واحدا فى كل سنة . وكل مايفعله فى ذلك الاسبوع أن
يذهب للاستحمام على مرمى حجر من الجزيرة . ويقوم على خدمة
اليخت نوتيان من بريطانيا يعيشان فيه حياة سهلة ناعمة ..

ولعل الانجليزى كان ينتظر من « ميجرية » أن يدون مذكراته
وملاحظاته .. ولكن « ميجرية » كان يدخن غليونه وينظر حوله فى
تراخ وكسل وينصت فى شرود لبيانات « ليشار » !

استطلاع

والتفت « ليشار » ليشير الى زورق منعزل عن سائر الزوارق وهو يقول :

- هل ترى هذا القارب الصغير المظلي باللون الاخضر ، المنفرد بنفسه عن جميع السفن وله شكل غريب ؟ ..

- آه .. آه .. رأيتة ..

- ان قمرته صغيرة جدا .. ومع هذا يعيش فيه شخصان ، رجل وفتاة .. نصبا خيمة من قلاع الزورق فوق سطحه . وهناك ينامان معظم الوقت . وهناك أيضا يقومان بطهو طعامهما وغسل ثيابهما . وهذان الشخصان ليسا من رواد الجزيرة الدوريين . ولكن الناس وجدوهما ذات صباح وقد ربطا زورقهما حيث تراه الان . والرجل اسمه « جيف دى جريف » ، وهو هولندي الجنسية ، وصناعته رسام ، وسنه لا تتجاوز الرابعة والعشرين . وستراه الليلة .. أما الفتاة فاسمها « أنا » .. وهى ليست زوجته ، فقد وضعت اليد على أوراقهما واحتفظت بها معى .. وسنها ثمانى عشرة سنة ، ومولودة فى أوستند وهى نصف عارية طول الوقت . وأحيانا يزيد عريها على النصف .. ومتى هبطت الظلمة رأيتهما يسبحان فى الفسق عند نهاية المرسى ، وليست عليهما أى قطعة من الثياب ..

وانتهز « ليشار » هذه الفرصة ليقول شيئا اكراما لخاطر مستر « بايك » الانجليزى :

– واحقاقا للحق اذكر ايضا ان هذين الهولنديين لا ينفردان
بذلك السلوك .. فالصيادون يؤكدون ان مسز ويلكوكس تسبح
عارية تماما في المياه المحيطة بيختها ..

وكانت جماعات صغيرة من الناس تتسكع وتتطلع بفضول نحو
الرجال الثلاثة ، في حين استطرد « ليشار » يقول :

– وعلى بعد خمسين ياردة أخرى من زورق الهولندي الاخضر
تستطيع أن ترى زورق « باكو » ..

من ذلك الموضع من المرفأ ، كانت تبدو لهما بوضوح تلك الفيلات
الصغيرة التي تحيط بكل منها مساحة واسعة من المروج الخضراء .
وأشار « ليشار » الى تلك الفيلات بيده وقال :

– سأذكر لك الان من الذى يسكن في كل واحدة من هذه ..
هذه مثلا هى التى يقيم فيها مسيو « اميل » ووالدته . وأما
المنارة فقد ذكرت لكما من الذى يسكنها ...

وأمام كل فيلا مرسى صغير ملحق بها على شاطئ البحر ..
وقد شد الى أحد هذه المراسى زورق طوله نحو ثمانية عشر قدما ،
أشار اليه « ليشار » وقال :

– وهذا هو زورق « باكو » ..

وكان الزورق قدرا .. وسطحه غير مرتب ، وبه موقد من احجار
كبيرة معدة للطهو ، وانا من المعدن ، وبضعة أوعية كساها الدخان
بطبقة سوداء وبضع زجاجات نبيذ خاوية ..
وسأل « ليشار » :

– أحقا كنت تعرفه يامسيو « ميجره » في باريس ؟ ..

– نعم في باريس ..

– ان أهل المنطقة يرفضون تصديق أن هذا الرجل ولد في
الهافر ، فالكل هنا كانوا يعتقدون أنه من أهالى الجنوب .. فهو
يتكلم بلهجتهم ، وكانت أطواره غريبة .. يقيم طول السنة في
زورقه ، وفي أوقات متباعدة كان يذهب بزورقه الى القارة على
حد تعبيره . ومعنى هذا أنه يعبر الماء ويربط زورقه في رأس
جينس أو عند سان تروبيز على مسافة ثلاثة أميال من هنا . وحين
تسوء الحالة الجوية غاية السوء ، كان يتخلى عن زورقه ليبيت لياليه

في ذلك الكوخ الذي يواجه المرفأ تماما . وفي هذا الكوخ يغلى الصيادون شباكهم ويجففونها .. وعلى الجملة لم تكن له احتياجات، وانما كان الجزار يمنحه قطعة من اللحم بين حين وآخر . واما الصيد فلم يكن يمارسه كثيرا .. واذا مارسه ففي مدة الصيف فقط ، عندما يخرج مع السائحين في رحلات صيدهم . وعلى طول الشاطئ يجد الانسان شخصيات قليلة من طراز « باكو » ..

– وهل كان يفرط في الشراب ؟

– كان يشرب النبيذ الابيض .. وحينما يريد الناس منه أن يساعدهم في أى عمل من الاعمال كان الاجر الذي يتقاضاه منهم زجاجة من النبيذ الابيض . وكان يعتمد على لعب « السيجا » في كسب زجاجات ذلك النبيذ أيضا .. فالناس هنا مولعون بـ « السيجا » .. وكان هو بارعا جدا في لعبها . وفي الزورق وجدت الخطاب ، وسأحضره اليك حالا .. فقد تركته في مبنى البلدية ..

– ألم تجد معه أوراقا أخرى ؟

– وجدت دفتر خدمته العسكرية ، وصورة امرأة .. ولا شئ سوى ذلك . ومن الغريب حقا أنه احتفظ بخطابك كل تلك المدة .. ألا تعتقد هذا ؟

ولم يجد « ميجرية » في ذلك مدعاة للدهشة البالغة التي أبدأها « ليشار » ولكنه لم يعلق بشئ أمام ضيفه الانجليزى الذى بدأ ثوب استحمامه يجف على جسده

– وهل تريد يا مسيو « ميجرية » أن ترى الكوخ ؟ لقد أغلقته ولكن المفتاح في جيبى .. ولا بد لى من اعادته للصيادين لأنهم لا يستطيعون الاستغناء عن استعمال الكوخ ..

ولم يكن فى وسع « ميجرية » أن يهتم الآن بالكوخ ، لأنه كان جائعا . وكان متلهفا أيضا على أن يرى زميله الانجليزى فى ملابس أكثر ملاءمة من ثوب الاستحمام وأليق بمهمة التحقيق . وكان أيضا فى حاجة الى جرعة أخرى من ذلك النبيذ الابيض .. ولهذا اتجه الرجال الثلاثة الى « سفينة نوح » . وصعد مستر « بايك » الى حجرته ليرتدى ثيابه ، ثم عاد بعد قليل بقميص

مفتوح مثل « ليشار » وفي قدميه حذاء من القماش الأزرق لعله
اشتراه من حانوت العملة الذي يبيع فيه البقالة والخردوات ..
وظل الصيادون لا يجسرون على التحدث الى « ميجرية » وهو
جالس في قاعة البار يشرب النبيذ الابيض . وكانت هذه القاعة
تنقسم قسمين : قسم فيه البار - وهو القسم الأكبر - أما القسم
الاصفر فبه مناخذ صغيرة عليها أغطية حمراء . وعلى قيد
منضدتين من « ميجرية » جلس « شارلو » منهمكا في تصفيف
مجموعة من قواقع البحر ..

وفي هذه المرة أيضا رفع يده بالتحية عندما نظر ناحية
« ميجرية » . ثم قال بلهجة متراخية :
- كيف الاحوال ؟ ..

والمعرفة بينهما قديمة .. فقد أمضى « شارلو » بضع
ساعات ، او لعلها سحابة ليلة كاملة بمفرده مع « ميجرية » في مكتبه
بباريس منذ ستة اعوام تقريبا ، وقد نسي « ميجرية » اسمه
الحقيقي ، فالجميع يعرفونه باسم « شارلو » ..

و « شارلو » يقوم بعمليات مختلفة لا يعنيه مدى اتفاقها مع
القوانين مادام يجنى منها أرباحا .. فهو يقوم بتوريد الفتيات
للمواخير المرخص بادارتها رسميا في مقاطعات جنوب فرنسا ..
ويهرب الكوكابين وسلعا أخرى على شاكلته . وله صلة بالمراهنات
السرية على السباق . وفي المعارك الانتخابية يفدو من أنشط
الدعاة الانتخابيين المتجولين على طول ساحل الريفيرا !

وهو انسان شديد العناية بمظهره .. شديد التأنق في
ملبسه .. كل اشاراته متكلفة . ويتصنع الهدوء كأنه يرتدى
على وجهه قناعا ، وفي عينيه وميض طفيف يوحي بالسخرية ..

والتفت « ميجرية » الى ضيفه الانجليزى قائلا :

- أتحب طريقة الطهو في الريفيرا يا مستر « بايك » ؟

- لا عهد لى بأطعمة الريفيرا ..

- أتحب أن تجربها ؟ ..

- بكل سرور ..

وأقبل « بول » صاحب الخان يقدم اقتراحاته :

- ما الراى فى طبق من العصافير كفاتح للشهية ؟ عندى كمية منها فرغنا من طهوها الآن ..

وبعد قليل قدم « بول » طبق العصافير .. فاستقبله « بايك » بنظرة تفيض رقة وحنانا مما يدل على محبته للطيور .. فقال له « ميجرية » :

- انها تلك العصافير التى يغطى صدرها ريش أحمر والمعروفة باسم « ابى الحن » ...

ومن مائدته كان « شارلو » لا يكف اثناء تناوله الطعام عن الهمس :

- ها أنتذا ترى يا مسيو « ميجرية » اننى بررت بوعدى لك والتزمت السبيل القويم .. ولما علمت بقرب قدومك بقيت فى انتظارك من غير أن يساورنى القلق . ولم أتقدم الى المفتش « ليشار » بطلب الاذن فى مفادرة الجزيرة ..

وأعقب ذلك صمت طويل .. ولما لم يتلق ردا عاد يقول :

- وأنا تحت امرك فى أى وقت تشاء .. وسيقرر « بول » أمامك أننى لم أبرح الحان تلك الليلة ..

- وهل أنت متلهف الى هذه الدرجة ؟ ..

- متلهف على ماذا ؟ ..

- متلهف على تبرئة نفسك ..

- كل ما هناك أنى أريد أن أساعد على توضيح الموقف أمامك ،

حتى لا تتخبط هنا وهناك على غير هدى .. !

- وهل كنت تعرف « مارسلان باكو » ؟ ..

- شربت معه النبيذ مئات المرات .. ان كان هذا هو ما تعنيه

بسؤالك . وهل حقا أنك أثبتت معك بمفتش من سكوتلانديارد ؟

وأخذ « شارلو » يفحص مستر « بايك » باستهانة كأنه ينظر

الى شىء طريف أو مخلوق عجيب التكوين ، ثم قال :

- هذه ليست بالقضية التى يصلح لها هذا الانجليزى ، ولأنت أيضا

تصلح لها ان سمحت لى بهذا التعبير . وأنت تعلم أننى كنت

حريصا على الدوام على ألا أشارك فى سفك الدماء . وأنا أكلمك

بصراحة لأن الظروف التى جمعت بيننا فى الماضى لم تترك فى نفسى

أحقادا . وبهذه المناسبة ما اسم ذلك الجاويش القصير البدين
الذي في مكتبك ؟ آه .. لوقا ! كيف حال لوقا ؟ ألم يزل بدينا ؟
يا « بول » ! ... « جوجو » ! ...

ولما لم يتلق جوابا وثب بسرعة الى المطبخ ، ثم عاد وفي يده
طبق مفعم بالمايونيز تفوح منه رائحة التوابل !
وبعد لحظة استأنف همسه « ليجريه » :
- ألا يمنعكما وجودى من الحديث ؟ ..
- كلا .. اطلاقا ..

- على كل حال ان ضايقتك كلامى ففى استطاعتك أن تقول
لى بكل تهذيب طبعا « احرص ياشارلو ! » فأغلق فمى ... فانا
مسرور اليوم لأن الامس كان عيد ميلادى .. بلغت الآن الرابعة
والثلاثين ، ويسرنى أن لى سنوات لم أتحدث حديثا انفراديا مع
أحد من زملائك ، مثل تلك الأحاديث التى جرت بينى وبين مفتشى
البوليس فى باريس ومرسيليا وغيرهما من البلاد . وكان بعض
زملائك عنيفا فظا معى .. ولكن الجميع يشهدون بأنى لم ألوث
يدى بدم انسان !

وكان « ميغريه » يعلم أن هذا حق .. فصحيفة « شارلو »
الجنائية بها أكثر من عشرة أحكام وسوابق ، ولكنها جميعا جرائم
سلمية ليس فيها اعتداء على الحياة
واستأنف « شارلو » تقريره عن نفسه قائلا :

- هل تعلم يا مسيو « ميغريه » لماذا أتى الى هذه الجزيرة
بانتظام فى كل سنة ؟ الحقيقة أنى أحب هذا المكان .. و « بول »
انسان طيب ، ولكن هناك سببا آخر .. انظر الى هذا الركن ، فى
جهة اليسار .. هذه آلة للفواكه والحلوى ، تضع فيها النقود
فتخرج لك كمية منها . ولى نحو خمسين آلة من هذا النوع فى
الخانات والحانات ما بين مرسيليا وسان رافايل .. وهى مهنة
ليست قانونية تماما ، وبين حين وآخر يصاب السادة حماة
القانون بنوبة حماسة فيزيلون آلة أو آلتين منها !

وكان مستر « بايك » فى هذه الاثناء قد أكل كمية كبيرة من
العصافير بدقة غريبة وشهية عظيمة بالرغم من رقة قلبه وحنوه

على تلك الطيور البريئة الجميلة ! وهو الآن يتشمم رائحة المايونيز
باشتهاء واضح ..

وعاد « شارلو » الى الكلام بصوته المنخفض :

– لعلك تعجب لماذا أتكلم اليوم بهذه الكثرة ؟

– أنا لم أعجب من شيء ..

– ان الثرثرة على كل حال ليست عادة من عاداتي .. ولكنى
سأخبرك لماذا أكثر من الكلام الآن . فهنا فوق هذه الجزيرة
شخصان لابد أن تتجه اليهما الريبة ، وهذان الشخصان هما
« اميل » وأنا .. فكل منا له سوابق ، والناس هنا يعاملوننا بكل
رعاية لسخائنا في بذل الأنخاب ، ولكنهم من وراء ظهورنا يتغامزون
علينا .. وفي أول فرصة تتجه الينا العيون بالتهمة . ولهذا لم
أتلّف على مغادرة الجزيرة بعد وقوع الحوادث . ولم أحاول
الاتصال تليفونيا بأتباعي على الشاطئ الآخر . وكنت أعلم أن
زميلك الضئيل الجسم « ليشار » كان يرقبني عن كثب طيلة
اليومين الماضيين . ولهذا أحب أن أصازحك القول بغير موارد
حتى أوفر عليك التخبط : ان توجيه التهمة لى سيتكشف عن خطأ
جسيم .. وهذا كل ما عندى . وأنا على كل حال رهن اشارتك
يا سيدى كبير المفتشين « ميجرية » ..

وانحنى « شارلو » بأدب – ينطوى على شيء من التهكم – ثم
غادر القاعة وفي فمه عود خلال . وانتظر « ميجرية » الى أن
ابتعد « شارلو » تماما ، وسأل زميله الانجليزى بكل هدوء :

– هل يحدث لديكم أن تنشأ الصداقات بينكم وبين عملائكم
السابقين ؟

وبهدوء قال « بايك » :

– ليس على هذا المنوال على كل حال ..

– ماذا تعنى ؟ ..

– من النادر أن يكون المجرمون لدينا ذوى شخصيات طريفة ..
فالأمور عندنا لا تجرى على شاكلة الأمور عندكم تماما ..

ولفتت هذه الملاحظة ذهن « ميجرية » الى مسز ويلكوكس
الثرية الانجليزية وسكرتيرها الباريسى الشاب . وأدرك حقا أن

الأمور في إنجلترا لا تجرى على شاكلة الأمور في أى بلد آخر من
العالم . وذكره ذلك أيضا بمفتش سكوتلانديارد الذى يتمشى في
مسرح الجريمة بثوب الاستحمام الملبل . .

واستطرد « بايك » يقول موضحا نظريته :

— أنا مثلا على علاقات يمكن أن تسميها ودية منذ زمن طويل
مع لص مجوهرات ذائع الصيت ، فلدينا في إنجلترا عدد كبير من
لصوص المجوهرات . ويكاد هذا يعتبر من مميزاتنا القومية ! . .
وهؤلاء اللصوص في الاغلب الاعم رجال متعلمون تخرجوا في أرقى
المدارس ويتمتعون بـعضوية أرقى الأندية . وقد ظلت أربع
سنوات اتعقب آثار هذا اللص الذى احدثك عنه . . وكان يعرف
أنى أراقبه وأتعبه ، فنشأت خلال ذلك التعقب معرفة وثيقة .
وكثيرا ما كان يحلو لنا أن نشرب كأسا من الويسكى في بار من
البارات الراقية معا ، فان هذا كان يزيد من طرافة اللعبة . .
وكثيرا ما لعبنا الشطرنج معا !

— وهل ظفرت به في النهاية ؟

— اطلاقا . . وقد وضعنا حدا للمباراة الطويلة باتفاق مما
نسميه في إنجلترا « اتفاق الجنتلمان » . . فاننى لشدة تعقبى له
قطعت عليه السبيل مدة سنة كاملة ساءت فيها أحواله المالية .
ولكن هذا كلفنى الانقطاع لمراقبته ، وبمقتضى « اتفاق الجنتلمان »
نصحته أن يغادر البلاد ليمارس نشاطه في قطر آخر . .

— وهل رحل بعد ذلك الى نيويورك ؟

— العصابات هناك منظمة وتحتكر السوق . . !

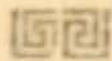
وبكل هدوء استطرد مستر « بايك » وهو يتناول عودا من
الخلال :

— انه في الوقت الحاضر يمارس نشاطه في باريس !

وأحضرت « جوجو » زجاجة أخرى من النبيذ الابيض . .
ونظر « ميغريه » فيما حوله فرأى « شارلو » جالسا في الشرفة
يلعب « السيججا » مع صياد ، ومن حولهما حفنة من الرجال
يشاهدون المباراة . وقال « ليشار » الذى يشعر بتراخ من كثرة
الاكل كالذى شعر به « ميغريه » :

– هل ستباشر التحقيق في مبنى البلدية ؟
وسأله « ميغريه » ببلادة :
– اى تحقيق ؟ ..

ثم تنبه الى وجود مسستر « بايك » وخجل ان يصرح امام
بحاجته الى النوم بعد هذه الوجبة الدسمة والشراب الجيد في
هذا الجو الحار ، فاسرع يقول مستدركا :
– نعم .. نعم .. في قاعة البلدية !



الماسقات

أقبل المسيو « فليسيان جاميه » عمدة الجزيرة وبقالها ، وفي يده المفتاح ، كى يفتح لهم باب قاعة البلدية . وهذا العمدة يقوم أيضا بوظيفة الحداد فى جزيرته ، ولهذا يرتدى قميصا مما يرتديه الحدادون .. حتى ليكاد يمس العقبين ، مما جعل « ميجرية » يتساءل فيما بينه وبين نفسه : هل تراه يرتدى بنطلونا عاديا تحت ذلك القميص أم هو بنطلون قصير لا يبدو منه شىء ، فيخيل الى من يراه فى زيه هذا أن الرجل يسير فى جلباب تومه ...

وبعد أن فتح « فليسيان » باب البلدية ، سأل بأدب :
- لا أظنكم أيها السادة ستكثرون بحاجة الى وجودى معكم؟ ..
وعند المدخل المفضى الى القاعة التى تراكم الفبار على كل شىء فيها وقف « ميجرية » ومستر « بايك » يتبادلان نظرات الدهشة ، ثم يحملقان فى وجه « ليشار » ووجه « فليسيان » . فعلى المائدة المستطيلة التى تستخدم فى اجتماعات المجلس ، وفى اجراء الانتخابات ، استقر تابوت من النوع الرخيص يبدو أنه ليس جديدا ، وبكل بساطة قال العمدة للرجال الثلاثة :
- اذا سمحتم بمساعدتى لنقل التابوت الى أحد أركان القاعة ..

وسأله « ميجرية » متعجبا :

- ما حكاية هذا التابوت ؟ ..

بكل بساطة أيضا ، قال العمدة « البقال الحداد » :

- انه تابوت البلدية ..
 - تابوت البلدية ؟ ! ..
 - ان القانون يلزم البلدية بتحمل جميع نفقات دفن المعدمين .
 وليس لدينا في هذه الجزيرة الانجار واحد .. وهو رجل متقدم
 جدا في السن . ولهذا فهو بطيء جدا في عمله ، وفي فصل الصيف
 تشتد الحرارة كما تعلمون .. ولذا تفسد الجثث بسرعة ،
 ولا يمكن الانتظار حتى يتمكن النجار من صنع التابوت في حينه !
 وكان « فليسيان » يشرح المسألة وكأنها شيء عادي جدا ..
 - وهل لديكم في الجزيرة الكثيرون من المعدمين ؟ ..
 - ليس لدينا رسميا الا معدم واحد في الجزيرة هو العجوز
 « بنوا » ..

- فهذا التابوت اذن معد خصيصا للعجوز « بنوا » ؟
 - هذا هو المفروض نظريا .. ولكننا يوم الاربعاء الماضى
 استخدمناه فعلا لنقل جثة « باكو » الى هاير للتشريح ..
 ولما رأى العمدة نظرات الفرع ، أسرع يقول مستدركا :
 - لا تقلقوا ! لقد طهرناه تطهيرا تاما بعد ذلك .. تفضلوا الآن
 بالجلوس

- وكانت المقاعد القليلة في القاعة مريحة للغاية ...
 - والآن هل تأذنون لى أيها السادة في مغادرتكم ؟
 ولكن « ميجرية » استوقفه قائلا :
 - قل لى أولا من هو العجوز « بنوا » ؟
 - لا بد أنك رأيتة يا مسيو « ميجرية » .. والا فأنت ستراه
 عما قريب حتما .. فشعره طويل يتدلى على كتفيه ، وله لحية
 طويلة كثة . انظر من هذه النافذة ، ففي استطاعتك أن تراه
 مستلقيا على مقعد بالقرب ممن يلعبون « السيجا » غارقا في نوم
 القيلولة ..

- والقى « ميجرية » نظرة من النافذة ، ثم سأل العمدة :
 - وهل هو طاعن جدا في السن ؟ ..
 - لا أحد يدرى كم عمره .. وهو نفسه لا يعلم كم عمره
 بالضبط . ولكن من روايته للاحداث يستنتج الناس أنه يخطو
 نحو المائة .. الا أنى أعتقد أنه يبالغ في سنه على سبيل المبالاة .

وليست له بطاقة ولا شهادة ميلاد ، واسمه الحقيقي غير معروف . وقد هبط أرض الجزيرة منذ زمن بعيد جدا عندما كان « موران » ذو اللحية صاحب المقهى العجوز شابا حديث السن ..

- ومن أين أتى ؟ ..

- وهذا أيضا غير معلوم .. ولكن من المؤكد عموما أنه جاء من إيطاليا .. فمعظم الوافدين الى هنا جاءوا من إيطاليا ، وتستطيع في العادة أن تحدد من طريقة كلامهم هل هم في الأصل من أهالي جنوا أم من منطقة نابلي . ولكن « بنوا » له لغة خاصة به .. وليس من السهل أن تفهم كلامه

- هل هو مسلوب ؟ ..

- عفوك .. لم أفهم مرادك ..

- هل عقله مختل قليلا ؟ ! ..

- انه أشبه بالقرود في تصرفاته وتقلب أحواله .. فهو يبدو اليوم مثلا وكأنه « بطرك » بلحيته وشعره الطويل . ولكن الجائز جدا بعد بضعة أيام حين يبدأ المصيفون في التقاطر على الجزيرة ، أن تراه وقد حلق لحيته ورأسه . فهذا شيء يقدم عليه مرة في السنة مع بداية الصيف .. ثم يبدأ في اصطيد الديدان !

- الديدان ؟ ! ..

- الديدان العضاضة ، وهي ديدان ذات رؤوس صلبة توجد في الرمال على الشاطئ .. ويفضل الصيادون استخدامها على سائر أنواع الطعم . ولهذا تباع بثمن مرتفع نسبيا ، وطيلة شهور الصيف يشاهد الناس العجوز « بنوا » خائضا في الماء الى خاصرته منقبا عن الديدان العضاضة .. أما في سابق أيامه فكانت حرفته البناء . ويديه شيد عددا كبيرا من بيوت الجزيرة القائمة اليوم ..

وبعد أن فرغ « فليسيان » من تقريره قال :

- هل هناك خدمة أخرى أؤديها أيها السادة ؟

- شكرا لك ..

وأسرع « ميجرية » بفتح النوافذ كلها كي يجدد هواء القاعة

التي يبدو أنها لم تكن تفتح الا يوم عيد الحرية من كل سنة . ولم يكن « ميغريه » يدرى على وجه الدقة ماذا سيفعل في هذا المكان . . . وهو لا يشعر بأى رغبة فى استئناف التحقيق والشروع فى توجيه الاسئلة . ترى لماذا قبل الحضور الى البلدية عندما اقترح عليه « ليشار » ؟ هل كان ذلك جبا منه بسبب وجود مستر « بايك » معه ؟ وهل ليس من المألوف فى انجلترا أيضا عند بداية قضية أن يسألوا الناس الذين كانوا فى مسرح الجريمة ؟ وهل سينظر اليه « بايك » نظرة جدية لو أنه أطاع نفسه وانطلق يجوس خلال الجزيرة كمن ليس لديه أمر مهم رسمى يشغله ؟ ! ..

مهما يكن من شىء ، فالجزيرة هى التى كانت مستحوذة على اهتمامه فى تلك اللحظة . . فلم يشعر بأى اهتمام نحو شخص معين بالذات . ولعل البيان الموجز الذى قدمه العمدة قد رسم أمامه صورة عامة لأولئك الناس الذين يعيشون فى زوارقهم ويجوبون بها ساحل الريفيرا ، وكأنهم يتنزهون فى شارع كبير من شوارع باريس بغير وحشة . . . فذلك الساحل هو وطنهم الحقيقى . وهذا النمط من الناس هو الذى ينتمى اليه « مارسلان باكو » . . نمط « البدو » البحرين ان صح هذا التعبير ، يقيمون ويرتحلون حيث يطيب لهم ذلك . . على حسب الجو وامكانيات الصيد . وربما انقطعت صلتهم بالبر الا من خطاب الى زوجة أو خطيبة أو أم . .

وتنبه « ميغريه » من شروده على صوت « ليشار » يسأله :

— هل أدخلهم واحدا واحدا ؟ . . بمن منهم تريد أن تبدأ ؟

وسيان عند « ميغريه » أن يبدأ بهذا أو ذاك . . ولذا ترك

للصدفة زمامه

— انى أرى الشاب الهولندى « دى جريف » يعبر الميدان

ومعه فتاته . . فهل أستدعيه لمقابلتك ؟ . .

— قل لى أولا يا « ليشار » : هل هؤلاء الشهود الذين

سأستجوبهم قد تم استدعاؤهم للتحقيق بصفة رسمية وأخطروا

بذلك ؟

- كلا .. بل هم يأتون للدلاء بأقوالهم بمحض اختيارهم ..
فمن حقهم أن يجيبوا أو لا يجيبوا . ولكن في الغالب أنهم يفضلون
الإجابة ، وقد يحدث أن يصر بعضهم على حضور المحامي معه
أثناء الإدلاء بأقواله ..

ولا بد ان الجزيرة كلها علمت ان كبير المفتشين « ميجرية »
موجود في قاعة البلدية . فها هي مجموعات كثيرة من الناس تفد
الى الميدان .. ونزل « ليشار » فشق تلك الجموع وانفرد تحت
ظلال أشجار الكافور بشاب وفتاة . ثم لم يلبثا أن أقبلتا معه
صوب القاعة .. وبدأ شعر « دى جريف » الأشقر ملفتا للنظر
لان الشمس كانت قد صبغت بشرة وجهه بسمرة داكنة مثل سمرة
أهل جزر تاهيتي . وكانت ثيابه عبارة عن بنطلون قصير فاتح اللون
وحذاء من القماش . أما رفيقته فكانت ترتدى بنطلونا وقميصا
ملتصقين بجلدها تمام الالتصاق ..

وسأل الهولندى في ارتياب :

- أتريد أن تتحدث الى حقا ؟ ..

فهتف « ليشار » يطمئنه :

- ادخل .. ادخل ! .. ان كبير المفتشين « ميجرية » سيسأل
الجميع .. انها مسألة « روتين » شكلى لا بد منه ..
وكان الهولندى الشاب يتكلم الفرنسية من غير لكنة . وقد
أمسك في يده حقيبة من الشباك لشراء الخضر والبقالة . ويبدو
أن الشابين كانا في طريقهما الى السوق عندما قطع عليهما « ليشار »
الطريق ..

وبدأ « ميجرية » الاستجواب :

- ألك زمن طويل وأنت مقيم في زورقك ؟ ..

- ثلاث سنوات .. لماذا السؤال ؟

- انك رسام فيما قيل لى .. فهل تبيع لوحاتك ؟

- عندما تسنح الفرصة ..

- وهل تسنح كثيرا ؟ ..

- نادرا ما تسنح فقد بعث مثلا لوحة للمسز

« ويلكوكس » في الاسبوع الماضى

- هل تعرفها معرفة جيدة ؟ ..

- لقد التقيت بها هنا ..

وعندئذ دخل « ليشار » وهمس في أذن « ميغريه » يسأله
هل يريد منه أن يذهب ليأتي بالمسيو « اميل » الآن .. وأوما
« ميغريه » برأسه موافقا ..

- وأى طراز من الناس هي ؟

- مسز « ويلكوكس » ؟ ..

- نعم ..

- انها عجيبة ..

- ماذا تعنى بهذا ؟ ..

- لا شيء .. وكان من الممكن أن التقى بها في مونبارناس قبل
ذلك ، لأنها تقيم بباريس فترة من كل شتاء . وقد اكتشفنا أن
لنا أصدقاء مشتركين هناك ..

- وهل ذهبت كثيرا الى مونبارناس ؟ ..

- لقد عشت سنة كاملة في باريس ..

- في زورقك ؟ ..

- نعم .. ربطناه في مرسى بون ماريه « كوبرى ماري »

- هل أنت غنى ؟ ..

- لا أملك خردلة ..

- قل لى : كم عمر صديقتك بالضبط ؟

- ثمانية عشر عاما ونصف عام ..

- أستا متزوجين ؟ ..

- كلا ..

- وهل والداها موافقان ؟

- انهما يعلمان أنها تعيش معى ..

- منذ متى ؟ ..

- منذ سنتين ونصف سنة ..

- معنى هذا أنها كانت فى السادسة عشرة بالضبط عندما

أمست عشيقتك

ولم يهتز الفتيان لوقع تلك الكلمة أقل أهتزاز !

- ألم يحاول والداها استردادها ؟ ..
- استرداها جملة مرات .. فكانت تهرب وتعود !
- وأخيرا نفضا يديهما ؟ ! ..
- أهلها يفضلون الآن عدم التفكير في هذا الموضوع ..
- وماذا كانت مواردك للإقامة في باريس ؟ ..
- كنت أبيع لوحة ما بين حين وآخر .. وكان لى هناك
أصدقاء ..

- هل كانوا يقرضونك نقودا ؟ ..
- في بعض الأحيان .. وفي أحيان أخرى كنت أشتغل حملا
في سوق الخضر !
- وهل كانت تساورك الرغبة هناك في القدوم الى هذه
الجزيرة ؟

- لم اكن اعلم بأن لهذه الجزيرة وجودا في الدنيا ..
- أين اذن كنت تريد أن تذهب ؟ ..
- الى أى مكان بشرط أن تكون الشمس فيه مشرقة أكبر قدر
من الايام ..

- وأين تريد أن تذهب من هنا ؟ ..
- الى أى مكان آخر به شمس ..
- ايطاليا ؟ ..
- أو أى مكان آخر ..
- هل كنت تعرف « مارسلان باكو » ؟
- كان يساعد على ترميم زورقى عند اللزوم وطلائه بالقار ..
- هل كنت في « سفينة نوح » ليلة مقتله ؟ ..
- نحن نسهر هناك كل ليلة تقريبا ..
- وماذا كنتما تفعلان ؟ ..
- كنت أعب الشطرنج مع « أنا » ..
- وهل لى أن أسألك عن مهنة أبيك ؟ ..
- انه مستشار في القضاء العالى ..
- الا تعلم لماذا قتل « مارسلان » ؟ ..
- لست بطبى فضوليا ..

- هل تحدث اليك عنى ؟ ..
- لم اسمعه يتحدث عنك ..
- هل تمتلك مسدسا ؟ ..
- وماذا أصنع به ؟ ..
- أليس لديك ما تقوله لى ؟ ..
- لا شىء على الاطلاق ..
- وأنت يا آنسة ؟ ..
- لا شىء .. شكرا لك ..
- وتأهب الاثنان للخروج .. ولما بلغا الباب استوقفهما
- « ميجرية » وقال :
- سؤال أخير ..
- تفضل ..
- فى الوقت الحاضر هل لديك نقود ؟ ..
- قلت لك انى بعت لوحة لمسز « ويلكوكس » ..
- فى الاسبوع الماضى ؟ ..
- نعم ..
- هل سعدت على ظهر يختها ؟
- نعم .. بضع مرات ..
- وماذا يصنع الناس الذين يعيشون على ظهر اليخوت ؟
- لا أدرى ..
- وسكت الشاب الهولندى قليلا ، ثم قال بشىء يسير من
- الازدراء :
- ... أئمة سؤال آخر ؟
- وهز « ميجرية » رأسه سلبا .. وخرج العشيقان ..



وظيفة فخرية

ولابد أن « ليشار » لم يضطر للذهاب الى بعيد كي يجد المسيو « اميل » .. فها هو واقف مع « ليشار » في الظل على قيد خطوات قلائل من قاعة البلدية ..

والمسيو « اميل » يبدو أكبر سنا من أعوامه الخمسة والستين .. ويبدو أيضا شديد الوهن ، يتحرك بحذر كبير كأنه يخشى أن يتحطم . ويتكلم بصوت منخفض كأنه يقتصد في كل خردلة من طاقته الحيوية ..

— ادخل ياسيد اميل .. لقد التقينا من قبل على ما اظن ؟

ولما كان ابن جاستين يرمق احد المقاعد ينظرة ، فقد قال له « ميجرية » :

— اجلس .. هل كنت تعرف « مارسلان » ؟

— معرفة جيدة ..

— هل كنت على اتصال مستمر به ؟ .. ومنذ متى ؟ ..

— لا أستطيع أن أحدد بالضبط منذ كم سنة .. ولعل امي

تستطيع ان تذكر التاريخ بالضبط ، لان جينيت تعمل لحسابنا ..

وساد الصمت يرهة .. كان صمتا من نوع غريب ، وتبادل

« ميجرية » ومستر « بايك » النظرات ألم يكن مستر « بايك »

هو الذي سأل « ميجرية » عندما غادرا باريس ان كان قد أستقصى

اخبار « جينيت » .. ثم أدهشة أن كبير المفتشين لم يفكر في ذلك الاستقصاء ..

اما الان فلا حاجة للاستقصاء فهاهو المسيو « اميل » يقول

بكل بساطة كل شيء و يذكر اسم تلك المرأة التي تولى « ميجرية »
منذ سنوات ارسالها الى المصح ..

- تقول انها تعمل لحسابكم ؟ .. ان هذا يعنى فيما اظن انها
تعمل فى بيت من بيوتكم ..

- نعم .. فى بيتنا الذى بمدينة نيس ..

- لحظة واحدة من فضلك يامسيو « اميل » .. لقد انقضت
خمس عشرة سنة على الاقل منذ قابلتها انا . ولم تكن فتاة صغيرة
فى ذلك الحين ، بل كانت اذا لم تخنى فراستى قد تجاوزت يومئذ
الثلاثين . وكان السل عاملا على مضاعفة اثر السن .. فهى الان
لا بد أن تكون ...

- فيما بين الخامسة والاربعين والخمسين .. انها هى التى
تتولى ادارة بيتنا المسمى « دار الحوريات » فى مدينة نيس ..

واجتهد « ميجرية » الا ينظر الى ناحية مستر « بايك » حتى
لا يحمر وجهه . وارتسمت أمام مخيلته صورة واضحة لبائعة
الهوى المريضة بذات الصدر حين انتشلها وبعث بها الى المصح ..
كانت نحيلة هزيلة الى درجة ان « ميجرية » كان يعجب للرجال
كيف تستهويهم امرأة كهذه ذات عينيْن محمومتين وعظام بارزة .
لقد قال لها يومئذ :

- لا بد لك من علاج شامل يافتاتى ..

فأجابته بخضوع تام :

- ليس احب الى من هذا ياسيدي كبير المفتشين .. ولا تظن
أنى أستطيع الحياة التى أحيهاها ...

ونفض « ميجرية » عن ذهنه هذه الصورة القديمة ، وقال بصبر
نافذ وهو يحدق فى وجه المسيو « اميل » :
- أوافق أنت أنها نفس المرأة ؟ لقد كانت فى ذلك الوقت مهدمة
من أثر السل ..

- لقد واظبت على العلاج سنوات ..

- وهل كانت مقيمة مع « مارسلان » ؟ ..

- بل قلما كانت تراه .. فهى كما تعلم مشغولة جدا . فكانت

ترسل اليه حواله ماليه بين الحين والحين .. مبالغ صغيرة طبعاً
فهو لا يحتاج الى الكثير ..

- وهل كان من عادته أن يذهب لمقابلتها في نيس ؟
- لا اظن ذلك .. فدار الحوريات مؤسسة على مستوى عال ..
- وربما كنت تعرفها ان كنت قد ذهبت الى نيس ..
- وهل من اجلها جاء « مارسلان » الى هذه المنطقة ؟
- لا ادري .. فقد كان شخصاً غريب الاطوار ..
- وهل « جينيت » في نيس الآن ؟
- انها اتصلت بنا تليفونيا من هايير هذا الصباح بعد أن قرأت
عن الحادث في الصحف . وهى الآن في هايير للاشراف على الجنازة
- وهل تعلم أين تنزل هناك ؟ ..
- في فندق النخيل ..
- هل كنت في « سفينة نوح » ليلة الجريمة ؟
- ذهبت الى هناك لأشرب قدح الينسون كما هى عادتي ..
- وقد غادرت الخان قبل « مارسلان » ؟
- طبعاً .. فأنا لا أتأخر عن النوم في الساعة العاشرة ..
- هل سمعته يتحدث عنى ؟ ..
- ربما .. ولكنى لم ألق بالا .. ثم أنا ثقيل السمع قليلاً ..
- وما هى علاقتك بـ « شارلو » ؟
- أعرفه .. ولكنى لا أقابله كثيراً ..
- لماذا ؟ ..

وبدأ الحرج بوضوح على وجه المسو « اميل » كأنه بازاء مسألة
دقيقة

- اننا لسنا من مستوى واحد ..
- ألم يسبق له العمل لحساب والدتك ؟
- ربما كان قد قام مرة أو مرتين بتوريد فتيات لها ..
- وهل كانت معاملاته معها مستقيمة ؟ ..
- أظن هذا ..
- وهل كان « مارسلان » يورد أيضاً فتيات ؟
- كلا .. انه لم يشتغل بهذا ..

- الاتعرف شيئاً عن الجريمة ؟
- لاشيء مطلقاً .. فانا لا اكاد اشغل نفسي الان بالعمل ، لان صحتى لا تسمح لى بذلك ..
- ترى ماذا كان يفكر فيه مستر « بايك » ؟ مارايه فى هذا كله ؟ وهل هناك أشباه للمسيو « اميل » فى انجلترا أيضا ؟
- اعتقد انى ربما ذهبت وتجاوزت الحديث مع والدتك ..
- على الرحب والسعة ياسيدى ..

- وفى هذه المرة كان « ليشار » فى الخارج مع شاب يرتدى بنطلونا من الفانلة البيضاء وقميصا أزرق مخططا بخيوط بيضاء وقبعة من قبعات اليخوت . ودخل « ليشار » مع الشاب قائلاً :
- المسيو « فيليب دى موريكور » .. نزل الى البر توا بالنتش وقال الشاب لـ « ميجهيه » :
- أتريد أن تتحدث الى ؟ ..
- وكانت سنه نحو الثلاثين .. وكان مظهره على خلاف المنتظر غير جميل ..
- أريد أن أوجه اليك بضعة أسئلة ..
- أظنها اجراءات شكلية ؟ ..
- اجلس ..
- هل هذا ضرورى ؟ انى اكره الجلوس ..
- استمر واقفا اذن .. هل انت سكرتير مسز « ويلكوكس » ؟
- انه لقب اسمى .. أو وظيفة فخريه فقط . ولك أن تقول انى ضيفها ، وانى أقوم بحكم الصداقة أحياناً بعمل السكرتير ..
- هل تقوم مسز « ويلكوكس » بكتابة مذكراتها ؟
- كلا .. ولماذا هذا السؤال ؟
- هل تقوم هى بأى عمل له صلة بمصنع الويسكى الذى تملكه ؟
- كلا .. مطلقاً ..
- هل تكتب لها خطاباتها الخاصة ؟
- لأدرى ما الذى ترمى اليه بهذه الاسئلة ؟
- لاشيء يامسيو « موريكور » ..

- « دى موريكور » من فضلك ..!
- كما تريد .. كنت فقط أريد أن أكون فكرة دقيقة بعض
الشيء عن عملك ..
- ان مسز « ويلكوكس » لم تعد فى مقتبل العمر ..
- بالضبط ! ..

- لم أفهم ماذا تقصد بهذا ..
- لا بأس .. والآن خبرنى يامسيو « دى موريكور » .. أين
تعرفت بمسز « ويلكوكس » أول مرة ؟
- هل هذا تحقيق ؟ ..
- لك أن تسميه ما تشاء ..
- وهل أنا ملزم بالاجابة ؟ ..
- فى استطاعتك أن تنتظر الى أن استدعيك رسميا ..
- وهل انا مشتبه فى امرى ؟ ..
- كل انسان هنا مشتبه فيه وغير مشتبه فيه ، فى الوقت
نفسه !

وفكر الشاب برهة ثم ألقى بسيجارته من النافذة المفتوحة
وقال :

- قابلتها أول مرة فى كازينو مدينة كان ..
- منذ زمن طويل ؟ ..
- منذ أكثر من سنة بقليل ..
- وهل أنت مقامر ؟ ..
- كنت مقامرا .. وهكذا فقدت اموالى ..
- وهل كان لديك أموال كثيرة ؟ ..
- هذا السؤال يبدو لى خارج الموضوع ..
- هل كان لك عمل من قبل ؟ ..
- كنت ملحقا بمكتب أحد الوزراء ..
- وهل كانت لك معرفة بالشاب « دى جريف » ؟ ..
- جاء الى أليخت بضع مرات .. واشترينا منه لوحة
- تعنى طبعا ان مسز « ويلكوكس » اشترت منه لوحة ..
- تماما ..

- وهل كان «مارسلان» يحضر أيضا الى « كوكب الشمال »
يخت مسز « ويلكوكس » ؟
- احيانا ..
- ضيفا ؟ ..
- من الصعب تحديد وضع زيارته .. وعلى كل حال مسز
« ويلكوكس » كريمة جدا ..
- يخيل الى هذا ..
- كل شيء موضع اهتمامها .. ولا سيما البحر الابيض
المتوسط الذي تحبه .. ولشواطئ هذا البحر شخصيات طريفة
فريدة . « ومارسلان باكو » كان بلا ريب شخصية من شخصيات
الشاطئ الفريدة .
- هل كان يقدم اليه الشراب ؟ ..
- كل من يأتي الى « كوكب الشمال » يقدم اليه الشراب ..
- وهل كنت في « سفينة نوح » ليلة الجريمة ؟
- كنا هناك ومعنا الميجر ..
- شخصية اخرى طريفة من شخصيات الشاطئ
- مسز « ويلكوكس » تعرفه من انجلترا .. والصلة بينهما
اجتماعية ..
- هل كنتم تشربون الشمبانيا ؟ ..
- الميجر لا يشرب سوى الشمبانيا ..
- وهل كنتم ثلاثكم في غاية المرح ؟ ..
- كان سلوكنا لائقا للغاية ..
- هل اشترك « مارسلان » معكم ؟ ..
- كل انسان كان يعتبر مشتركا الى حد ما .. الم تقابل
الميجر « بللام » بعد ؟ ..
- لن يطول بلا ريب حرمانى من هذا الشرف ..
- انه السخاء بعينه .. فحينما يأتي الى « سفينة نوح » ..
- وهل يأتي الى هناك كثيرا ؟ ..
- جدا .. وكلما جاء حرص على تقديم الشراب للجميع ، فيأتي
كل انسان يشرب معه كأسا .. وله مدة طويلة في هذه الجزيرة

بحيث يعرف معظم الاطفال بأسمائهم الاولى ..
- اذن « مارسلان » جاء الى مائدتكم تلك الليلة وشرب قديحا

من الشمبانيا ..
- كلا .. لقد كان يمقت الشمبانيا ، ويقول انها لا تصلح الا

للفتيات .. فجاءوه بزجاجة من النبيذ الابيض !

- وهل جلس معكم ؟ ..

- بالطبع ..

- وهل كان هناك آخرون جالسين الى مائدتكم ؟ «شارلو»

مثلا ؟

- نعم ..

- اهل تعرف مهنته .. ان جاز تسميتها مهنة ؟

- انه لا يحاول أن يخفى حقيقته .. ولكنه شخصية طريفة

أيضا !

- وبهذا الاعتبار دعى أحيانا الى اليخت ؟

- انى لا أكاد أعرف فى الجزيرة أى شخص لم يحضر الى

اليخت ..

- حتى المسيو « اميل » ؟ ..

- ألا هذا ! ..

- لماذا ؟ ..

- لا أدرى ولا أظن أننا تحدثنا اليه مرة واحدة ، فهو شخص

منعزل متوحد !

- ألا يشرب ؟ ..

- انه لا يشرب .. ولعل هو السبب ..

- وانتم طبعا تكثرون من الشرب على ظهر اليخت ؟ ..

- أحيانا .. واظن هذا امرا جائزا ؟

- وهل كان « مارسلان » على مائدتكم عندما شرع يتكلم عنى ؟

- ربما .. أنا لا أتذكر على وجه التحديد . كل ما أتذكره انه

كان يروى الحكايات كما هى عادته ، ومسز « ويلكوكس » كانت

تحب أن تسمعه وهو يروى الحكايات . وكان فى تلك الليلة يتكلم عن

ذكريات السنوات التى قضاها فى اصلاحية الرجال

- انه لم يذهب مطلقا الى اصلاحية الرجال ..

- لا بد اذن فى هذه الحالة انه اخترع القصة ..
- ليدخل السرور والتسلية على مسز « ويلكوكس » ..
- واثناء حديثه عن السجن جاء ذكرى فى القصة ؟ فهل كان سكرانا؟
- لا يمكن ان يعتبر مفيقا تماما فى اى وقت .. ولا سيما فى المساء .. انتظر ! اذكر انه قال ان الحكم كان بسبب امرأة ..
- اسمها « جينيت » ؟
- ربما .. اظن هذا هو الاسم ، واعتقد انه زعم انك شملتها برعايتك اثناء سجنه وعندئذ قال احد الجالسين كلمة تعريض بك ، فانبرى «مارسلان» يتغنى بمناقبك وصاح .. «ميجريه، صديقى .. والصديق عندى شىء مقدس » واذا لم تخنى الذاكرة كان «شارلو» يستشير غيظه بهذا الخصوص . فازداد حنق «مارسلان»
- هل تستطيع ان تخبرنى كيف انتهت المناقشة ؟
- من العسير ان اخبرك .. فقد كان الوقت متأخرا جدا ..
- ومن كان الاسبق فى الانصراف ؟
- لا ادرى .. فان « بول » صاحب «سفينه نوح» كان قد اغلق الابواب قبل ذلك بوقت طويل وجلس معنا الى مائدتنا .. وشربنا زجاجة اخرى ، واطن اننا خرجنا معا ..
- من الذين خرجوا معكم ؟
- الميجر .. وقد تركنا فى الميدان ليعود الى داره . اما «شارلو» فقد بقى فى الخان لانه ينام باحدى حجراته .. وذهبت انا ومسز « ويلكوكس » الى المرسى حيث الزورق الذى ننزل به الى البر .
- وهل كان معكما نوتى ؟ ..
- كلا .. فاننا عادة نأتى وحدها . ولكن رباح « المسترال » كانت تهب بعنف فى تلك الساعة ، فعرض علينا « مارسلان » ان يوصلنا ؟ ..
- اذن كان معكما عند الاقلاع فى الزورق ؟ ..
- لقد رفضنا ان يصحبنا .. وبقى على الشاطئ . ولا بد انه عاد الى كوخه
- اذن بالاختصار أنت ومسز « ويلكوكس » اخر من رآه حيا ؟
- فيما عدا القاتل طبعا .. !

- وهل وجدت ما صعوبة في العودة الى البيت ؟
- من أخبرك ؟ ..
- لقد قلت الان ان البحر كان مضطربا !
- وصلنا مبللين بالماء .. وبلغ ارتفاع المياه في الزورق ست بوصات

- هل أويت مباشرة الى فراشك ؟ ..
- أعددت شربا ساخنا لتدفئتنا ، ثم جلسنا نلعب الورق ..
- وكم كانت الساعة عندئذ ؟ ..
- حوالي الثانية صباحا .. فنحن لا ننام مبكرين ..
- ألم تسمع شيئا أو ترى شيئا خلاف المألوف ؟ ..
- ان رياح « المسترال » كانت تمنعنا من سماع أى صوت على الشاطئ ..
- هل تنوى الذهاب الى « سفينة نوح » الليلة ؟ ..
- ربما ..
- شكرا لك .. مع السلامة ..

وبقى « ميجرية » ومستر « بايك » وحدهما دقيقة او دقيقتين يتبادلان النظرات . وكان احساس « ميجرية » الداخلى يدعوها الى ترك كل هذه الاسئلة التافهة والاسترخاء فى الشمس فوق احد مقاعد الميدان ليدخن غليوننا ويرقب من يلعبون « السيجا » .. ثم يتمشى فى المرفأ بين الصيادين الذين يصلحون شباكهم .. ولكنه خشى ان يعتبر ذلك فضيحة لجديفة الشرطة الفرنسية فى نظر هذا الانجليزى !

- اعتقد يامستر « بايك » أنكم فى انجلترا تديرون الاستجابات بطريقة نظامية اكثر منا نحن الفرنسيين ؟ ..
- ليس دائما .. ومنذ عامين وقعت جريمة فى مصيف برائيون فذهب أحد زملائى وقضى هناك احد عشر اسبوعا فى خان صغير . وكل ما يصنعه هو قضاء النهار فى صيد السمك وقضاء الامسيات فى شرب البيرة مع أهل المنطقة !
- وكان هذا بالضبط ما تصبو اليه نفس « ميجرية » ولكنه حرم نفسه من اشباع ميوله من أجل هذا الانجليزى بالذات !

في تلك اللحظة دخل « ليشار » ساخطا لان الميجر رفض الحضور
وقال ان على من يريد ان يذهب ليشرب معه كأسا ..
- ان هذا من حقه طبعاً .. والان اتصل تليفونيا من « سفينة
نوح » بفندق النخيل في هاير ، واطلب هناك « جينيت » وقل لها
انه يسرني ان تأتي لتحدث معا بعض الوقت ..
- والى أين أنت ذاهب الان ؟ أين أجلك ؟ ..
- لأدرى .. غالبا في المرفأ ..
وخرج مع مرافقة الانجليزى من البلدية الى الميدان المشمس ..



بقايا امرأة

اخترق « ميجرية » ومستر « بايك » الميدان على مهل .. وعيون الناس تقتفى أثرهما بنظرات قد يظنها البعض تنم عن التوجس أو عدم الثقة . ولكن الواقع أن الناس كانوا في حيرة لا يدرون كيف ينبغي أن يكون السلوك في وجود بوليسى شهير مثل « ميجرية » .. و « ميجرية » نفسه شعر بالغرابة في وسطهم ، ولكنه كان يعلم أنه لن يكون من العسير عليه أن يجعلهم يثوبون الى سجيتهم ويتكلمون بحرية ومن غير تحفظ ..

وقال « ميجرية » لصديقه الانجليزى :

– الا ترى أن الانسان يحس هنا ببعده عن الدنيا بعدا شاسعا يا مستر « بايك » ؟ انظر ان هذه فرنسا يبدو لنا شاطئها هناك ، ولا يستغرق الزورق في العبور اليها أكثر من ثلث ساعة . ومع هذا أشعر اننى هنا ضائع تائه كأننى فى قلب أفريقيا أو فى أمريكا الجنوبية ؟

وتوقف بعض الاطفال عن اللعب ليتطلعوا الى الرجلين الغريبين .. ولما وصلا بازاء الجراند أوتيل ظهر لهما المرفأ ، واذا بالمفتش « ليشار » وقد لحق بهما ، وقال « لميجرية » :

– لم أستطع أن أتصل بها .. وجدتها سافرت ..

– هل عادت الى نيس ؟

– فى الغالب لا ..

– لماذا ؟ ..

- لأنها قالت لكاتب الفندق أنها ستعود اليه غدا صباحا في موعد
تشييع الجنازة ..
وفى المرفأ كان كثيرون من الناس يرقبون وصول سفينة . فقال
« ليشار » :

- هذه هي السفينة « كورموران » التي تقوم بخدمة هذا الخط
بصفة دورية ، ومعنى هذا أن الساعة الآن قاربت الخامسة ..
وأقبل غلام على رأسه قبعة منقوش عليها بحروف مذهبة كلمتا
« جراند أوتيل » ووقف ينتظر القادمين بجوار عربة صغيرة لنقل
الأمتهة . واقتربت السفينة البيضاء الصغيرة . ولم يطل الوقت
« بميجريه » وهو يتفحص الناظرين منها كى يتعرف على سحنة
امرأة . وقال « ليشار » :

- لعل هذه المرأة هي « جينيت » ، قادمة لمقابلتك .. فالجميع
فى هاير يعلمون أنك هنا لتحقيق هذه القضية ..
وكانت المرأة التي يتحدثان عنها لها ملامح « جينيت » فعلا ..
بيد أنها بدينة جدا ذات مظهر محترم وثيابها كلها مصنوعة من
الحرير ، وعلى وجهها مساحيق كثيرة ، وتفوح منها رائحة العطور ..
وحدث « ميغريه » نفسه قائلا : حين التقيت بها منذ خمسة
عشر عاما كنت أنا أيضا وشيقا . ولعلها حين ترانى الآن تصاب بمثل
خيبة الامل التي أصابتنى بها !

وحاول مندوب الجراند أوتيل أن يستولى على حقائبها لولا أنها
صاحت :

- الى « سفينة نوح » !

واتجهت نحو « ميغريه » مترددة فى القاء التحية . ولعل
السبب فى هذا هو وجود المستر « بايك » الذى لم تسبق لها
معرفته ..

- قيل لى أنك هنا .. فخطر لى أنك ربما أحببت أن تتحدث
الى ...

ولم تحاول أن تتصنع الحزن العميق .. لقد أنضجتها السنون ،
فهى الآن رزينة هادئة متزنة الأعصاب وعلى شفيتها ابتسامة تدل
على الثقة بالنفس

- وهل انت نازل ايضاً بخان « سفينة نوح » ؟
 وحمل « ليشار » حقيبتها .. وبدا عليها وهي تمشي على مهل
 انها تعرف البقعة جيداً .. وكانت تقول « ليجريه » :
 - ان جريدة الاقليم تقول انه لقي مصرعه لمجرد انه ذكر اسمك
 على لسانه ودافع عنك .. فهل تصدق هذا ؟
 وبين الحين والحين كانت تلقي نظرة استطلاع وتوجس على
 المستر « بايك » . فقال لها « ميغريه » :
 - في وسعك ان تتكلمي امامه كما تشائين .. فهو صديق وزميل
 من انجلترا جاء ليقضى معي بضعة ايام ..
 فألقت الى الانجليزى بابتسامة مهذبة راقية ، وتنهدت وهي تقول
 « ليجريه » وكأنها تلمح الى بدانته :
 - لقد تغيرت انا أيضاً .. اليس كذلك ؟
 وساور « ميغريه » العجب وهو يراها تعتصم بالحشمة والحياء ،
 فتجمع ثوبها بيدها حول ساقها وهي تصعد السلم ، لأنه كان يسير
 في أثرها ويمكن أن يرى ساقها من الثوب الواسع
 وكان دخولها الى خان « سفينة نوح » فى ألفة من تدخل بيتها .
 وقالت بكل بساطة :
 - هل بقيت لديك حجرة لى يا « بول » ؟
 - سيكون عليك فى هذه المرة أن تقنعى بالحجرة الصغيرة
 المجاورة للحمام
 وعندئذ التفتت نحو « ميغريه » وقالت له :
 - هل تصعد معي برهة ؟
 ولا شك أن هذه الكلمات كانت تبدو ذات معنى مزدوج فى بيت
 كالبيت الذى تشرف على ادارته فى نيس ، أما هنا فلا وجه لهذا
 الظن . ولما تردد « ميغريه » خشية أن يتوهم مستر « بايك » بأنه
 يخفى عنه شيئاً من اطوار القضية وتفاصيلها ، ظهر عليها الاستياء .
 وابتسمت ابتسامة تكاد تكشف عن حرفتها الأصلية ، وقالت بدلال :
 - لا خطر عليك منى كما تعلم ..
 ونظر الانجليزى الى « ميغريه » وقال له :
 - تفضل ..

وسبقتهما «جوجو» حاملة الحقيبة . وكان ثوبها قصيرا وواسعا
كاملة . ولا شك فى أن هذا المنظر هو الذى أوحى الى « جينيت »
بالاحتشام حين جمعت ثوبها بيدها وهى صاعدة أمام « ميجرية »
وفى الحجرة المخصصة لها لم يكن يوجد سوى فراش ومقعد
واحد من الخيزران ، فهى أصفر حجرة فى البناء ولها نافذة واحدة
فى السقف المائل

وخلعت « جينيت » قبعتها وألقت بنفسها على طرف الفراش
وهى تطلق زفرة ارتياح . وعلى الفور خلعت حذاءها ذى الكعب
العالى للغاية ، وراحت تدلك أصابع قدمها المتعبة من فوق جوربها
الحريرى . . ثم قالت :

- هل أنت مستاء لأنى طلبت منك أن تصعد معى ؟ . . لا يوجد
فى الطابق الأسفل مكان نتحدث فيه . وليست لدى القوة على
المشى . . انظر الى قدمى تجدهما متورمتين . . فى وسعك أن تدخن
غليونك

وفطن « ميجرية » الى أنها ليست على سجيتها تماما ، وأنها
تتكلم لمجرد الكلام ، أى رغبة فى كسب الوقت :

- هل أنت ساخط على ؟

ومع أنه فهم مرادها تماما ، الا أنه أحب أن يعمد هو أيضا الى
كسب الوقت فسألها :

- ولماذا ؟

- انى أعلم تمام العلم أنك تشعر بخيبة الأمل . . ولكن الذنب فى
الواقع ليس ذنبى ، فبفضلك قضيت أسعد أيام حياتى فى ذلك
المصح . ولم أشعر فى تلك السنوات بأى قلق ، ووجدت هناك طبيبا
يشبهك كثيرا أظهر نحوى عطفًا بالغا . وكان يشتري لى الكتب ،
فكنت أقضى اليوم كله فى القراءة . وأنت تعلم أنى حتى الوقت الذى
ذهبت فيه الى المصح كنت امرأة جاهلة ، فكلما استعصى على فهم
شئ كان يشرحه لى شرحا وافيا . . هل معك سيجارة ؟ . . لا بأس
. . فعلى كل حال من الأفضل لى ألا أدخن . . فى ذلك المصح قضيت
خمس سنوات ، وتعودت على الإقامة حتى داخلنى الاحساس بأنى

عشت طول عمري هناك ، واننى سأقضى بقية حياتى هناك ايضا .
وارتحت لهذه الفكرة ، ولم اكن راغبة مثل سواى من المرضى فى
مفادرتة فى اول فرصة . فحين ابلغونى اننى شفيت وفى وسعى ان
أرحل ، كان خوفى أشد وقعا على نفسى من فرحى بالشفاء . وكان
المصح فوق قمة جبل ، والوادي من تحته مغطى بالضباب دائما
وبالسحب الكثيفة أحيانا . وكنت خائفة أشد الخوف من الهبوط
اليه ، ولم يكن أحب الى من البقاء فى المصح ممرضة أو مساعدة .
ولكن الدراية والمؤهلات كانت تنقصنى . . ولم يكن عندى من العافية
ما يؤهلنى لخدمة التنظيف أو الطهو . فماذا كان فى وسعى اذن أن
أعمل ؟ لقد تعودت فى المصح أن أنال ثلاث وجبات كل يوم . وكنت
أعلم اننى لن أحصل عليها الا بالعمل عند « جاستين » أو من هى
على غرار « جاستين » . . فعملت عند « جاستين »

وقاطعها « ميجرية » بصوت بارد قائلا :

– لماذا جئت اليوم ؟

– ألم أخبرك ؟ لقد ذهبت أولا الى هايير ، فأنا لا أريد للمسكين
أن يوارى التراب من غير أن يشيعه أحد الى مثواه . .

– الا تزالين على حبه ؟

فظهر عليها تحرج يسير وقالت :

– أظننى كنت أحبه فعلا كما تعلم . وكثيراً ما تحدثت اليك عنه
فى ايامى الخوالى عندما توليت امرى على أثر القائك القبض عليه .
فلم يكن اخا سوء كما تعلم ، بل انه كان فى طوية نفسه برىء القلب
حقيقة . . بل أكاد أقول انه كان خجولا حيبا . وبدافع من خجله
كان يتمنى أن يكون مثل الآخرين ، بيد أنه كان يتطرف ويبالغ
– هل أفهم من ذلك أنك كفت عن حبه ؟

– لقد اتسع أمامى الوقت فى المصح كى أفكر فيه ، وفى نفسى ،
وفى حقيقة شعورى . . ففهمت كل شىء . ولم أستطع أن أظل على
حبه بنفس الطريقة . كنت قد قابلت أناسا من مستويات أخرى
فتيسر لى أن أعقد مقارنات ، وساعدنى الطبيب كثيرا على فهم الناس
كما ساعدنى على فهم الكتب . .

– هل كنت تحبين ذلك الطبيب ؟

فضحكت ضحكة عصبية وقالت :

- اعتقد أن النزلاء في كل مصحة يحبون اطباءهم المعالجين ..
- وهل كان « مارسلان » يكتب اليك ؟
- بين حين وآخر ..

- وهل كان في مرجوه أن يستأنف معك حياتكما القديمة ؟
- اعتقد أنه كان يطمع في ذلك في بداية الامر .. ثم لم يلبث أن تغير هو أيضا كما تغيرت أنا .. شاخ بسرعة ، بين عشية وضحاها ، ولا أدري هل رأيتته أم لا . ولكنه كان فيما مضى أنيقا معنيا بمظهره فخورا مزهوا ، فلما جاء الى شاطئ الريفييرا تغير فيه كل شيء ..
- هل هو الذي ألحقك بخدمة « جاستين » و « اميل » ؟
- كلا .. فقد كنت أعرف « جاستين » بالاسم فقط . فأرسلت اليها طلبا للاستخدام ، واستخدمتني تحت التجربة مساعدة مديرة لأحد بيوتها ، لاني لم أكن أصلح لغير ذلك . فقد أجريت لي أربع جراحات في المصح وجسمي كله ملئ بالندوب
- لقد سألتك ما الذي جاء بك اليوم ...

- عندما عرفت أنك تباشر بنفسك هذه القضية خطر لي أنك ستذكرني وتحاول أن تتصل بي .. وكل ذلك سيستغرق وقتا
- لقد فهمت من كلامك أن الصلة بينك وبين « مارسلان » انقطعت على أثر خروجك من المصح . ولكنك كنت ترسلين اليه حوالات مالية ، اليس كذلك ؟

- بلى .. في بعض الاحيان ، لاني كنت أريد له أن يستمتع بحياته بعض الشيء .. فقد كانت تساوره رغم مظهره المرح نوبات سوداوية !

- هل أخبرك بهذا ؟

- كان يقول لي انه فاشل ، وأنه كان طول حياته خائبا ولم يستطع أن يفلح في شيء حتى في الاجرام !
- هل قال لك هذا في نيس ؟

- انه لم يأت لمقابلتي في دار الحوريات مطلقا ، فقد كان يعلم أن هذا ممنوع ..
- هنا اذن ؟

- نعم هنا ..

- هل كنت تحضرين كثيرا ؟

- مرة كل شهر تقريبا ، لان «جاستين» مسنة جدا ولا تستطيع
أن تمر على مؤسساتها بنفسها .. ومسيو «اميل» لا يحب الاسفار

- وهل كنت تبيتين هنا في « سفينة نوح » ؟

- دائما ..

- لماذا لم تكن « جاستين » تعطيك حجرة في فيللتها الفسيحة ؟

- انها لم تسمح مطلقا للنساء بالمبيت عندها ..

وشعر « ميغريه » أنه اقترب من النقطة الحساسة ، فسألها
ضحكا وهو يشعل غليونه :

- هل هي خائفة على ابنها ؟

- قد يبدو هذا غريبا .. ولكنها الحقيقة ، لانها ربتة على

الالتصاق بها . ولهذا نشأ وشاخ بطباع امرأة لا بطباع رجل ، فهي

حتى اليوم تعامله معاملة الاطفال ولا يستطيع أن يقدم على أى عمل
بغير اذنها !

- وهل هو يحب النساء ؟

- بل هو على الأرجح يخافهن .. ثم هو ليس شديد اللهفة

عليهن لان صحته كانت دائما ضعيفة ، وهو يقضى وقته كله في العناية

بنفسه وتعاطى الأدوية وقراءة الكتب الطبية

- وماذا أيضا غير ذلك « يا جينيت » ؟

- ماذا تعنى ؟

- لماذا جئت اليوم الى هنا ؟

- لقد أخبرتك ..

- لا ..

- ظننتك مشغول الذهن بأمر المسيو « اميل » ووالدته ..

- فسرى كلامك ..

- ان جميع رجال الشرطة يلقون شبهاتهم دائما على أشخاص
من طراز معين ، فاعتقدت أنك ربما ..

- وأنت تريدني أن تخبريني بأن المسيو « اميل » لا علاقة له
بمقتل « مارسلان » ؟

- وأردت أن أوكد لك أنني رغم المودة التى بينى وبين «مارسلان»

لم يكن عندي أو عنده أى تفكير فى الحياة معا ، فقد أصبح يستطيب
هذه الحياة التى اختارها لنفسه هنا . وقطع كل صلة له بعالم
الجريمة .. انظر ! لقد رأيت « شارلو » الآن ...
- أتعرفينه ؟

- قابلته عدة مرات ، وكنا أحيانا نتناول الطعام على مائدة
واحدة . وقام بتوريد الفتيات لى !

- وهل كنت تتوقعين أن تجديه اليوم هنا ؟

- كلا .. وأقسم لك أننى أقول الحق . ولكن لا أدرى لماذا يبدو
عليك أنك لا تثق بكلامى

- هل تربحين مالا طائلا الآن ؟

- ليس بالقدر الذى قد يخطر ببالك . « جاستين » شحيحة
جدا ، وكذلك ابنها .. وليس معنى هذا أنى خالية الوفاض .
ولكنى فى الوقت نفسه لم أدخر ما يكفى للتقاعد
- أنك كنت تحدثيننى عن « مارسلان » ..

- لا أذكر ماذا كنت أقول لك .. آه تذكرت . حينما كان فى
باريس كان يتظاهر بالقوة والشراسة ويذهب الى المشارب التى
يلتقى فيها بأناس من طراز « شارلو » .. بل وبالقتلة أيضا . وكان
يحب أن يبدو وكأنه على شاكلتهم ، ولكنهم لم يأخذوه مأخذ الجد
- لانه كان خليطا من الانسان الشرير والانسان الطيب !

- ثم أقلع عن هذا كله ، ونفض يديه من كل أمل فى اثبات نفسه
بين عتاة المجرمين وذوى السطوة . وعاش هنا فى قاربه أو فى كوخه
يشرب بافراط ، وتساعده حوالاى المالية على ذلك . وأنا اعلم ماذا
يجول بذهن الناس عندما يسقط رجل من طرازه صريعا ..
- يعنى ... ؟

- أنت خير من يعلم ذلك .. سيتوهم الناس أنها « تصفية
حساب » قديم بين رجال العصابات ، أو عملية ثار ، ولكن هذا
خلاف الواقع ..

- هل هذا ماجئت حقيقة لتقوليه ؟ هل أنت حقيقة خائفة أن
أشتبه فى العجوز وابنها ؟ ألسنت عاشقة « لشارلو » مثلا ؟
- كلا بالتأكيد ! فمن العسير على أن أحب أى انسان بعد كل

الجراحات التي أجريت لى .. لم اعد امرأة و « شارلو » لا يشير
لدى اهتماما على الاطلاق

- اريد الحقيقة كاملة ..

- أقسم لك بشرفى انى لا اعلم من الذى قتل « مارسلان »

- ولكنك تعلمين من الذى لم يقتله ؟ ..

- نعم .. وأنا اعلم انه لا يمكن ان يخفى عنك الانسان شيئاً ،
وانك ستعرف الحقيقة بنفسك يوماً من الايام ، ولهذا أحب ان
تعرفها من لسانى منذ الآن . ولولا انك حاورتنى بخشونة لم
أتوقعها منك لصارحتك من اول دقيقة .. اعلم اذن أنى سأتزوج
مسيو « اميل » ! هل استرحت الآن ؟

- متى ؟ ..

- عندما تموت « جاستين » ..

- ولماذا الانتظار الى ان تموت ؟

- ألم اقل لك انها تفار من جميع النساء ، انه بسببها لم يتزوج
حتى الآن .. بل ولم تعرف له عشيقة . وعندما كان يحتاج الى
امرأة بين وقت وآخر كانت هى التى تنتقيها بنفسها ، وتحرص
على ان تكون اقل الجميع شخصية وذكاء وخطرا . وفى السنوات
الاخيرة انتهت هذه المسألة بالنسبة له تماما ..

- أى مسألة ؟ ..

- مسألة النساء والحاجة اليهن !

- ومع هذا يفكر فى الزواج ؟! ..

- ذلك انه يفرغ من الوحدة .. انه مطمئن طالما هى على قيد
الحياة ترعاه كأنه طفل . ولكنها بلغت من العمر عتياً ، ولم تبق لها
من فسحة العمر الا سنة على الاكثر
- من أدراك ؟ ..

- انها مصابة بالسرطان ، وسنها لا تسمح باستئصاله ..

- ولهذا طلب منك ان تتزوجيه ؟

- نعم .. وذلك بعد أن تأكد من صلاحيتى التامة لرعايته
صحياً .. وعرضنى على عدة اطباء للتأكد من خلوى من كل اثر
لمرضى القديم . ولا حاجة للقول بأن « جاستين » لا تدرى شيئاً

من هذا كله ، والا لكانت قد طردتني منذ زمن طويل ..
- و «مارسلان» ؟ ..

- لقد أخبرته ..

- وماذا كان تأثير ذلك عليه ؟

- لا شيء .. بل أقرنى على أننى يجب أن اعمل لشيخوختى حسابا . واعتقد انه فرح لعلمه اننى سأعيش هنا ..

- ألم يكن مسيو « اميل » يفار من «مارسلان» ؟

- ولماذا يفار منه .. لقد قلت لك من قبل انه لم يعد بيننا شيء يستوجب غيرة « اميل »

- اذن حضورك الى هنا انما هو لنفى الشبهة عن «اميل» ،
لاعتقادك اننى قد اتخيل «مارسلان» وهو يهدد «اميل» ويستخدم
خطابى القديم لتخويله حتى يتعد عنك

- «مارسلان» لم يكن يهدد أحدا ، والمسيو « اميل » يفضل
الموت جوعا على ان يذبح دجاجة ..

- وأنت طبعا لم تحضرى الى الجزيرة فى الايام الاخيرة ؟

- من السهل ان تتأكد من هذا ..

- لانك لم تفادرى تلك الدار فى نيس ؟ ياله من دليل !

- وهل أنا بحاجة الى دليل ؟ ..

- من كلامك أستطيع أن أتصور مارسلان عقبه فى طريق زواجك
من المسيو « اميل » . والمسيو «اميل» صيد ثمين للغاية ، فهو
إذا تزوجك سيترك لك ثروة طائلة جدا ..

- جدا .. وأظن أننى كنت على صواب حين قررت الحضور
لمقابلتك . فها أنت تتجه اتجاها خاطئا تماما ، مع اننى اعترفت لك
بكل شيء وبصراحة تامة ..

وكانت عيناها تلمعان ، وكأنها مشرفة على البكاء ، وهى
تقول :

- اصنع ما يحلو لك .. فأنا لا اعلم من الذى قتل «مارسل» .

أتنوى أن تقبض على حقا ؟

وكانت ابتسامتها الساخرة لا تستر قلقها ، رغم محاولتها
الظهور بمظهر من لا تبالى . فقال «ميجريه» :

– ليس في نيتي أن أقدم على هذا الآن ..
– هل أستطيع أن اذهب لتشجيع الجنازة غدا صباحا ؟ سأعود
ان شئت بعدها مباشرة ، وليس عليك سوى أن ترسل زورقا
لاحضاري ..

– ربما سمحت لك بذلك ..

– ألن تقول شيئا لجاستين ؟

– كلا .. الا عند الضرورة القصوى ..

– هل أنت ساخط على ؟

– كلا بالطبع ..

ونهضت وهي تنهد .. فنهض « ميجريه » وغادر الحجره

ليتركها تخلع ثيابها وتستريح ..



زهرة الحب

نزل « ميغريه » الى قاعة البار ، فوجد لاعبي « السيجا » الذين كانوا في الميدان قد فرغوا من مبارياتهم ، وتجمعوا يتحادثون بأصوات عالية ويشربون النبيذ الابيض . وفي أحد الاركان بالقرب من النافذة ، جلس مستر « بايك » الى مائدة وامامه الرسام الهولندي الشاب « جيف دي جريف » يلعبان الشطرنج باستفراق تام ..

وبجوارهما جلست « أنا » على مقعد تدخن سيجارة في مبسم طويل للغاية ، وقد ارتدت ثيابها وهي عبارة عن فستان من القطن المطبوع كان من الواضح انها من تحته عارية تماما .. وجسمها رشيق ملتف ، وأنوثتها واضحة المعالم والمفاتن بحيث لا يتصورها الانسان لأول وهلة الا حيوانا جميلا ..

وكان « دي جريف » مرتديا بنطلونا من الفانلة رمادي اللون وقميصا أزرق به خطوط بيضاء وحذاء من القماش كالذي يرتديه جميع من في الجزيرة ..

وتلفت « ميغريه » فيما حوله بحثا عن المفتش « ليشار » ولكنه لم يجده ، وقبل مكرها قدح النبيذ الذي قدمه اليه « بول » . وأخذ جميع من كانوا أمام البار يفسحون له بينهم مكانا . ورحب هو بذلك كي يزيل الحواجز بينه وبين هؤلاء الاهالي الذين لعلمهم كانوا في انتظاره منذ الصباح لينتهزوا هذه اللحظة كي يتعرفوا عليه .. ومعظمهم من صيادي السمك فيما عدا اثنين أو ثلاثة منهم ..

وسأله أحدهم وهو يشرب النبيذ :

- هل اعجبك نبيذ جزيرتنا ؟

- أعجبني جدا ..

- ولكن الصحف تزعم انك لا تشرب الا البيرة . و «مارسلان»
كان يؤكد لنا ان ما تزعمه الصحف غير صحيح ، وانك لا ترفض
كأسا من الكلفادوس .. رحمة الله على المسكين «مارسلان» ..
في صحتك يا سيدى المفتش ..

وانبرى آخر يسأل « ميغريه » :

- هل صحيح انه كان صديقك ؟

- كنت أعرفه في فترة من الفترات .. ولم يكن انسانا سيئا
- كلا بالطبع .. ولكن هل صحيح ما تزعمه الصحف انه من
الهافر ؟

- طبعا صحيح ..

- بلكنة أهل الجنوب التى يتكلم بها ؟

- عندما عرفته منذ خمسة عشر عاما تقريبا لم تكن فى لسانه
أى لكنة

- أسمعت هذا القول « يا تيتين » ؟ ألم يكن هذا هو رأىي ؟

وتوالت الانخاب فى دورات من الشراب بلغ عددها ستا .
والعبارات والاسئلة تتناثر فى الهواء على غير هدى ، لمجرد الكلام ،
مثلا يقذف الاطفال الصفار كرتهم فى الهواء لمجرد قذفها والاستمتاع
بمنظرها .. !

وسأله « بول » فى الحاح عن اصناف الطعام التى يفضلها فى
العشاء . وأكد له « ميغريه » انه يحب الاطعمة المحلية ولا يعدل
بها شيئا ..

وكان « شارلو » جالسا فى الشرفة الخارجية وامامه كأس ،
مشغولا بمطالعة صحيفة الاقليم . فلما رأى « ميغريه » سأله :

- هل كونت فكرتك ؟

- عن أى شىء ؟ ..

- عن الجريمة طبعا وعن الفاعل .. ان « مورانو » ذا اللحية
صاحب المقهى العجوز الذى ولد فى هذه الجزيرة ولم يغادرها منذ

سبع وسبعين سنة لم يسمع بمثل هذه الجريمة في حياته . كانت هناك حوادث غرق طبعاً ، وحدث ذات مرة ان امرأة من الشمال حاولت منذ ست سنوات ان تنتحر بابتلاع أقراص منومة . وحدث ايضا ان نوتيا طعن آخر في ذراعه اثناء مشاجرة . اما القتل فلم يقدم عليه احد من قبل ، لان جو الجزيرة يجعل الاشرار ودعاء مثل الحملان البريئة ..

وضحك الواقفون ، وتبارى كل منهم في القهقهة والتعليق .
وصاح احدهم :

- لن تدرك سر هذه الجزيرة الا بعد ان تقضى هنا بضعة ايام ..

- بل ما يجب ان تفعله هو ان تأتي لقضاء اجازاتك هنا مع زوجتك . وسنعلمك لعب «السيجا» اليس كذلك يا «كازيمير» ؟ ان «كازيمير» هو الذي ربح بطولة الجنوب في العام الماضي في هذه اللعبة ..

وكان الغروب قد بدأ يكسو السماء بألوان مختلفة . وتناثر الحاضرون حول الموائد يلعبون الورق . وسأل « ميغريه » عن « ليشار » فقال له « بول » :

- لقد انصرف وأنت في الطابق العلوى .. ولم يقل أين هو ذاهب ، فهذه طريقته . وهو شخص بارع في الاستقصاء . استطاع في الثلاثة أيام التي قضاها هنا أن يعرف عن عائلات الاهالى كل ما أعرفه أنا ..

ولما التفت « ميغريه » الى جهة صديقه الانجليزى وجده بمفرده ، فأدرك أن « دى جريف » وصاحبته انصرفا .. فقال له :

- سنتناول طعامنا بعد نصف ساعة ..

وعندئذ همس « بول » لـ « ميغريه » :

- أتظن هذا السيد الانجليزى يحب طهونا ؟

وطمأنه « ميغريه » ثم سحب ضيفه للنزهة سيرا على الاقدام . وقادتهما الطريق الى المرفأ وقد تواری قرص الشمس ، وخفتت جميع الاصوات الى حد كبير .. ولم يبق سوى صدى ارتطام الموج بالمرسى الصخرى . أما النباتات فاختلفت خضرتها بالسواد ..

وقال « بايك » عن الرسام الهولندى الشاب :

- لقد هزمته بصعوبة .. انه حاذق جدا ، ويعجبني على الخصوص انه هو الذى علم نفسه تلك اللعبة ..
- وهل كان هو الذى اقترح عليك المباراة ؟

- بل انا الذى وضعت امامى الرقعة لاقوم ببعض التمرين، قطعاً للوقت ، وانت فى الطابق العلوى . ولم يخطر ببالى انى سأجد من يلاعبنى .. ثم جلس هو الى المائدة المجاورة مع صديقه . وادركت من طريقة تطلعه الى قطع الشطرنج انه يريد ان يبارينى ..
وساد الصمت بعد ذلك بين الرجلين ، وهما يسيران فوق المرسى . وبالقرب من اليخت الابيض كان هناك قارب صغير مكتوب عليه « زهرة الحب » . وهو زورق « دى جريف » وعشيقتة . وكان الاثنان هناك لان النور كان ينبعث من تحت سقف القمرة الصغيرة التى لا تتسع الا لشخصين جالسين أو راقدين اما الوقوف فيها فمستحيل . وسمعا من هناك صوت ملاعق واطباق مما يدل على أن العاشقين يتناولان طعامهما ..

وبعد أن ابتعدا قليلا ، قال مستر « بايك » بدقته المعهودة :

- انه ذلك الطراز من الابناء الذى تكرهه الاسر العريقة . هذا النمط ليس موجودا بكثرة فى فرنسا ..
- ماذا تعنى ؟

- اعنى أنهم فى بلادكم قد يسرقون او يرتكبون حماقات للحصول على نقود يستمتعون بها مع النساء أو يقامرون . ولكن الابناء الفاسدين فى فرنسا لا يحسنون لعب الشطرنج مثلاً ، ولا يقرأون « كانت » و « شوبنهاور » و « نيتشه » و « كيرجورد » . ان الولد الفرنسى الفاسد كل همه أن يعيش ملء حياته من غير أن ينتظر الميراث الرسمى . أما « دى جريف » فليس على هذه الشاكلة . فأنا لا اظن انه يحب المال او يريد الحصول عليه ، وانما هو فوضوى متمرد على كل القيم التى نشأ على تقديسها .. فهو ابن المستشار الذى يكره القضاء والقضاة ، وابن الام الثرية الذى يحتقر الثراء والنسب العريق ، وابن هولندا المتمرد على تقاليد وطنه وعاداته .
وفجأة احمر وجه مستر « بايك » وتلعثم قليلا وقال :

- عفوك .. فأنا لم أجادبه من الحديث الا طرفا يسيرا . ولكن

اظننى قد فهمته حق الفهم .. فلدينا فى انجلترا كثيرون على غرارهم من ابناء البيوتات . واعتقد ان امثاله يوجدون فى كل بلد متشدد فى الاخلاق والتقاليد . ولهذا السبب قلت لك الان ان الانسان لا يلتقى بكثيرين من امثال هذا الشاب فى بلادك فرنسا . ففى فرنسا لا تشدد فى مظاهر الاخلاق ، ولهذا فلا نفاق !

ولم يدر « ميجرية » ما الذى يعنيه بالضبط « بايك » .. اتراه يريد ان يلمح الى مظاهر التحرر والانحلال التى شوهدت بكثرة منذ وصولهما الى الجزيرة ، ممثلة فى اشباه المسيو « اميل » و « شارلو » و « جينيف » ، ممن يعيشون بين شرفاء الناس دون ان يصادفوا اى لون من الوان التعريض او التشهير او التجريح ؟ . واستاء « ميجرية » وساورته الرغبة فى الدفاع عن وطنه . ولكن مستر « بايك » استطرد بكل هدوء يقول :

- مثل هذا الشاب يمكن ان يسموا بجماعة المحتجين او الساخطين .. انهم يرفضون كل شىء جملة من غير تمييز بين الجيد والردىء والخبيث والطيب . انظر الى « دى جريف » مثلا تجده قد انتزع فتاة صغيرة من اسرتها الثرية الشهيرة ، وهى فتاة حلوة لذيدة مشتهاة . ومع هذا لا اظنه قد انتزعها بمجرد الاشتهاء .. بل لانها من عائلة عريقة محافظة ثرية ، نشأت على التدين وكانت تذهب مع امها الى القداس صباح كل احد .. ووالدها رجل طاهر السمعة شديد المحافظة على النبل والاستقامة . وكان انتزاعها مفامرة كبرى ومجازفة خطيرة .. اظن ان هذه هى حقيقة نفسيته ، ولكن ربما ايضا اكون مخطئا ..

- لا اظنك مخطئا ..

- هناك اشخاص اذا وجدوا وضعهم انيقا نظيفا سليما ركبهم شيطان افساده وتنقيصه ، ومن هذا الطراز « دى جريف » .. انه يريد ان يدنس نظافة حياته .. ويلوث كل شىء . حتى فتاته يريد ان يلوثها ويدنسها ، وبغير هذا لا تهدأ نفسه

واستولت الدهشة الشديدة على « ميجرية » .. دهشة بلغت حد الذهول . فها هو مستر « بايك » وقد ذهب تفكيره الى عين ما ذهب اليه هو . فعندما اعترف « دى جريف » بأنه ذهب عدة

مرات الى يخت « كوكب الشمال » ، خطر « ليجريه » على الفور
انه لم يكن يذهب الى هناك لمجرد احتساء الشراب الذي يقسم
بافراط ، بل لان هناك علاقات بين الزوجين لا يقرها العرف والخلق
علاقات مخزية شاذة ..

واختتم مستر « بايك » رايه قائلا :
- مثل هؤلاء الاشخاص في غاية الخطورة .. وهم في الغالب
نهب لتعاسة شديدة رغم كل شيء !
وساد صمت ثقيل الوطأة .. واحس « بايك » بذلك فقطعه
قائلا :

- انه يتحدث الانجليزية بطلاقة تامة كأهلها . وليست في
لسانه لكنة أجنبية ، ولا يدهشني ان اكتشف انه كان تلميذا في
أحدى مدارسنا العامة

وكان وقت العشاء قد ازف .. وقد مرت أكثر من نصف ساعة
منذ غادرا « سفينة نوح » ، فهاهو الظلام قد خيم ، والقوارب المشدودة
الى المرسى تتراقص مع انفاس البحر التي يعلو بها صدره ويهبط .
وافرغ « ميغريه » غليونه .. وعند مرورهما بزورق الهولندي
عنى بتفحصه ..

ترى هل كان مستر « بايك » يتكلم لمجرد الكلام ؟ ام تراه قد
بدأ يكون فكرة عن القضية وأراد أن يوحى بتلك الفكرة اليه ..
كان من الصعب على « ميغريه » ان يتكهن . وها هو « بايك »
يعيد كلمته :

- مثل هؤلاء الاشخاص في منتهى الخطورة ..



أنباء

صعد « ميجرية » الى حجرة نومه بعد العشاء ليفسل أسنانه ويديه وترك باب الحجرة مفتوحا .. فجاءت « جوجو » ووقفت في فرجة الباب . ولم يسمع صوت قدميها لانها تسير بخفة .. ولم يدر كم يبلغ عمرها . ربما كانت في السادسة عشرة أو في العشرين ، ولا شك أن « ميجرية » كان يبهرها بشخصيته وشهرته ..
- ألدك ما تقولينه لى يافتاتى ؟

فدخلت وأغلقت الباب بهدوء .. وهو أمر لم يكن يستريح اليه ، فأنت لا تدري ماذا يمكن أن يخطر بأذهان الناس . وهو لا يستطيع أن ينسى وجود زميله الانجليزى فى الخان ..
وقالت الفتاة وقد أحمر وجهها:

- أريد أن أكلمك بخصوص « مارسلان » .. فقد تحدثت الى الى طويلا بعد ظهر يوم من الايام ، وكان فى حالة سكر شديد .. وخطر لى أن حديثه فى ذلك اليوم يمكن أن يكون ذا فائدة لك ..
- ماذا قال ؟ ..

- قال انه لو أراد لحصل على رزمة كبيرة هكذا ..

- رزمة من أى شىء ؟

- من أوراق البنكنوت طبعا !

- وهل حدث هذا منذ زمن طويل ؟

- قبل مقتله بيومين فيما أظن ..

- اهل كان أحد غيره فى المقهى ؟

- لم يكن هناك سوى .. فالكل ينامون بعد الغداء أما أنا فكنت
أنظف البار ..

- وهل أخبرت احدا بهذا الحديث ؟

- لا اعتقد ذلك ..

- وهل قال شيئا آخر ؟

- قال أيضا : « ولكن ماذا أصنع بهذه النقود يا صفيروني

« جوجو » ؟ ان الإقامة هنا لطيفة للغاية » ..

- طارحك الفرام ؟

- لم يحاول ذلك اطلاقا ..

- والآخرون ؟ ..

- كلهم تقريبا ..

- متى كانت « جينيت » تأتي الى هنا ؟

- كانت تأتي مرة كل شهر تقريبا ..

- هل كان « مارسلان » يصعد لزيارتها في حجرة نومها ؟

- كلا بالتأكيد .. بل كان يعاملها باحترام فائق ..

- هل أستطيع أن أتحدث اليك بصراحة يا « جوجو » ؟

- طبعا .. فأنا في التاسعة عشرة ..

- حسنا .. هل كان « مارسلان » على علاقات بنساء

- طبعا ..

- في الجزيرة ؟ ..

- أول كل شيء مع « بينا » .. وهى بنت عمى ، وهى تفعل

هذا الشيء مع كل انسان .. ويبدو أنها لا تستطيع مقاومة هذا

الميل

- وهل كان يجتمع بها في زورقه ؟ ..

- أو في أى مكان .. انها لا تبالي ..

- ومن أيضا ؟ ..

- ومع أرملة « لا مبير » وهى صاحبة مقهى . وكان أحيانا

يقضى الليل معها .. وحين يتفق له أن يظفر ببعض ذئاب البحر كان

يذهب بها اليها . ولا مانع الآن بعد أن مات « مارسلان » أن أوج

لك بسر .. كان يصيد السمك بالديناميت وهو ممنوع قانونا !

- ألم يكن هناك تفكير في زواجه من أرملة « لا مبير » ؟

- لا مبير ؟

- لا اظن انها كانت تفكر في الزواج ..
وابتسمت « جوجو » ابتسامة فهم « ميجرية » ان ارملة
« لامبير » ليست شخصا عاديا .. وعندئذ قال لها :
- هل هذا كل ما هناك يا « جوجو » ؟
- نعم .. ومن الافضل الآن ان انزل ..

وفي الليل عندما رقد على فراشه لم يسرع اليه النوم .. وكان
موقنا ان « جينيت » غير نائمة ايضا ، فهي مستلقية في فراشها
وبينهما حاجز رقيق للغاية حتى انه كان يسمع تنفسها . وانقضى
وقت طويل قبل ان تستغرق في النوم .. وخطر له انها ربما كانت
تكتب خطابا ، او لعلها كانت تدلك وجهها بالكريم !

وسمع خطوات مسـتر « بايك » في الدهليز جملة مرات وهو
ذاهب الى دورة المياة ، فقد شرب الانجليزى الكثير من الشمبانيا
مع ذلك الميجر « بللام » . وارتفعت الكلفة بين الانجليزين لاول
وهلة كأنهما صديقان قديمان . وجلسا وحدهما في ركن .. وأمر
الميجر « جوجو » باحضار زجاجات الشمبانيا الواحدة تلو الاخرى .
والميجر لا يشرب الشمبانيا في الكؤوس الصغيرة المخصصة لذلك
الشراب الفاخر ، بل في اكواب كبيرة مثل الاكواب التى تستعمل فى
شرب البيرة .. وهو جندى من الطراز القديم ، أحمر الوجه ، فضى
شعر الرأس والشاريين .. وله عينان واسعتان صافيتان ، ولا
يفارق السيجار الكبير شفـتيه ..

انه « غلام » عجوز فى السبعين أو الثانية والسبعين من عمره ،
وفى عينيه بريق شيطنة الاطفال .. وصوته أجش من اثر الافراط
فى التدخين واحتساء الشمبانيا . ولكن قدرته على الشرب غير
محدودة ، فظل بعد أن تجرع بضع زجاجات منها فى منتهى الاتزان
والوقار ..

وفى فترة من فترات السهرة ، قال مسـتر « بايك » لـ « ميجرية » :
- أتأذن لى أن أقدم لك الميجر « بللام » ؟ لقد اكتشفنا أننا كنا
طلابا فى نفس المدرسة

ولم يكن ذلك طبعا فى نفس الصف أو نفس السنة ، ولا فى نفس
العقد من السنين . وكان واضحا ان انتماء الشيخ والشاب الى

مدرسة واحدة خلق بينهما رابطة من الألفة بعثت في نفسيهما
السرور البالغ ..

وبين الحين والحين ، كان الميجر يصدر اشارة لاتكاد تلاحظ الى
«بول» أو «جوجو» .. فيكون ذلك كافيا من غير كلام لاحضار
زجاجة شمبانيا جديدة . وبين حين وآخر ، كان يصدر اشارة
أخرى تحضر على أثرها « جوجو » وتصب من الزجاجة كوبا كبيرا
تأخذه وتقدمه الى أحد الجالسين بالقاعة ..

وكانت حركاته رشيقة لطيفة بحيث لا توحى بالتعالى ولا تجرح
شعور جلسائه .. فحينما يصل الكوب الى المقصود به كان الميجر
يرفع كوبه الى اعلى ويشرب نخباً صامتا يحيى به ضيفه من حيث
هو جالس ..

والى هذه القاعة حضر كل من في الجزيرة تقريبا .. وظل «شارلو»
طول السهرة يعبث بألة بيع الفواكه ويضع فيها النقود بسخاء .
وما كان هذا ليضيره وهو الذي يحصل في النهاية على ايرادها كله
وذهبت أفكار « ميجريه » وهو راقد يتقلب على فراشه لتحوم
حول « جينيت » .. واعترف لنفسه أنه كان قاسياً عليها في
الحديث . فان ما انتهت اليه من اختيار أسلوب معين لحياتها من
شأنها وحدها ، ولا ينبغي أن يكون له فيه دخل . وأما أنها عمدت
الى الكذب فمسألة كان ينبغي ألا تثيره ، لأن هذا النمط من النساء
- حتى اقلهن ميلا للشر - يكذبن على البديهة ومن غير قصد ..
فالكذب عندهن سليقه مثل التنفس ، يقدمن عليه من غير أن تكون
لهن به حاجة أو داع ..

وأحس أنها لم تزل تكتم عنه أشياء ، وأن هذا في الغالب هو
الذي أقض مضجعها ومنعها من النوم ..
وسمعها تستيقظ وتغادر فراشها ذات مرة .. وتسير على
الارض حافية القدمين ، فهل تراها تفكر في الحضور اليه ؟ ..
ان هذا ليس مستحيلاً .. وبدأ « ميجريه » يعد نفسه لارتداء
بنطلونه الذي كان ملقى بجوار الفراش على الارض .. ولكنها لم
تحضر ، بل سمع رنين زجاج .. فعلم أنها قامت لتروى عطشها ،
أو لعلها تناولت حبه منومة .. !

ولم يكن « ميجريه » قد شرب طول السهرة سوى كوب واحد

من الشمبانيا . أما بقية الوقت فكان شرابه النبيذ الابيض ثم كوبا
من العرق ، لا يدري لماذا شربه . ترى من الذى امر له بهذا
العرق اللعين !

آه ! انه طبيب الاسنان . أو هو على الاصح طبيب اسنان
متقاعد غاب اسمه عن باله . وهو شخصية أخرى طريفة من
شخصيات هذه الجزيرة العجيبة . ومع هذا فمن يدري ؟ .. لماذا
يكون أهل هذه الجزيرة هم الاشخاص الاسوياء ، ويكون سكان
الشاطيء الاخر ، شاطى فرنسا وأوربا ، هم المجانين ؟
ان طبيب الاسنان العجوز لابد أنه كان شخصا محترما للغاية
فيما مضى من عمره .. أنيقا جدا في مظهره ، لأن عيادته كانت في
أرقى موقع بمدينة بوردو .. وأهل بوردو متشددون جدا في
المظاهر

وذات مرة جاء هذا الطبيب العجوز ليقضى عطلته في الجزيرة .
وبعد انتهاء عطلته عاد الى بوردو ، ولكنه لم يمكث هناك سوى
أسبوع واحد هو أقل مدة تلزم لتصفية جميع أعماله هناك ،
ورجع الى الجزيرة ليقيم فيها الى الأبد !

انه الآن لا يلبس ياقة قميصه طول العام .. ويترك شعره
مسترسلا على قفاه ، ولا يحلق لحيته الا مرة كل أسبوع .. انه
الآن قد أهمل كل شيء ، لا ملابسه فقط وشعره ، بل وأظافر يديه
أيضا . وهو لا يقوم بأى عمل الا القراءة في مقعد هزاز في ظل
شرفته المطلة على البحر ..

وتزوج فتاة من بنات الجزيرة لعلها كانت فيما مضى جميلة ..
أما الآن فهي بدينة للغاية ، ولها شارب واضح ، وصوت مثل
صوت الحدأة يجرح الأذن !

انه الان سعيد .. أو هكذا يدعى ! وقد نكح « ميجرية » أن
للجزيرة سحرها الخاص على من يفدون اليها . قال :
- لو أنك بقيت هنا مدة كافية لصابتك العدوى ، ولم تستطع أن
تعود الى عالمكم الذى تسمونه عالم الحضارة والمدنية !
وكان « ميجرية » يعلم ان هناك جزرا في المحيط الهادى لها
هذا التأثير على الرجل الابيض . فكم من أوربى أو أمريكى أقام

هناك ورجع الى حياة الفطرة مثل سكانها السود او السمير ..
ولكن لم يكن ليخطر ببالي ان هذا يمكن ان يحدث على مدى
ثلاثة اميال من ساحل فرنسا!

وروى له طبيب الاسنان ايضا ان هناك طبيبا باطنيا اصيب
بسحر الجزيرة فأقام هناك أيضا .. فقال له « ميغريه » :
- اظنكما صديقين ..

- بل نحن لا نلتقى مطلقا ..

وعلم ان ذلك الطبيب الباطني جاء الى الجزيرة مستشفى ..
وهو رجل أعزب لايهتم الا بصحته ويعيش في بيت صغير يزرع
حوله حديقة كبيرة حافلة بالازهار ويقوم بخدمة بيته بنفسه ..
وبسبب اعتلال صحته لا يخرج ليلا ، حتى ولو في حالات الاسعاف
وفي الشتاء حين يشتد البرد نسبيا يظل أسابيع بطولها لا يفادر
البيت .. !

ان كل انسان في هذه الجزيرة يعرف الآخرين عن كذب ..
فليست هناك رسميات ولا فوارق . والميجر الانجليزى الذى
تعلم فى أرقى مدارس انجلترا يقف على قدم المساواة مع متشرد
مثل « مارسلان » او أفاق مثل « شارلو » !

وطول السهرة كان المسيو « أميل » و « جينيت » جالسين
بهدوء الى مائدة واحدة صامتين ، وكأنهما زوجان قديمان ينتظران
القطار فى مقصف المحطة . وأمر المسيو « أميل » بقدهح الينسون
المعتاد .. وطلبت « جينيت » كأسا من النعناع . وبين الحين كانا
يتبادلان كلمة أو كلمتين بصوت خافت . وهم يكن من المستطاع
أن يسمع أحد ما يخوضان فيه من حديث . وبعد قليل نهضت
« جينيت » وأحضرت رقعة الضامة وأخذا يتباريان

وخطر ببال « ميغريه » أن الزمن عند هؤلاء الناس لا حساب
له .. وكل يوم هو نسخة من الامس ومن الغد ، وأنه لو عاد الى
الجزيرة بعد خمس سنوات لوجد طبيب الاسنان جالسا أمام
كوب العرق ، يتسهم ابتسامته هذه بعينها ، وهى ابتسامه يمتزج
فيها الرضى بعدم الاكتراث .. ولوجد « شارلو » يعبث بألة بيع
الفواكه ، والميجر يشرب الشمبانيا وعيناه تغمضان !

لا اجد هنا احدا في عجلة من امره .. بل يبدو ان احدا لا يتخيل
ان لكلمة الغد وجود .. فحتى « جوجو » حينما لا يكون لديها
خدمة تقدمها للعملاء تضع ذقنها على كفها وتشرد ببصرها في
لا شيء ..

و « بول » في ثياب الطهارة يطوف بالموائد ويلطف العملاء ..
وزوجته القصيرة ذات الشعر الاشقر والملامح القاسية جالسة في
ركن بعيد منهمكة في ضبط حسابات الخان ..
وقال « ليشار » لـ « ميجرية » :
- هكذا الحال في كل ليلة بلا استثناء ..

- وسكان الجزيرة الاصليون ؟ اعنى الصيادين ؟ ..
- انهم قلما يغادرون بيوتهم بعد العشاء .. فهم يخرجون الى
البحر مع الفجر ولهذا ينامون مبكرا . وقد يأتون الى « سفينة
نوح » بعد الظهر أو في الصباح .. أما في المساء فمن شاء السهر
منهم ذهب الى مقهى آخر لسماع الاذاعة . وفيما عدا هذا لا يهتم
اناس بشيء ، وحياتهم على وتيرة واحدة



حيرة

كان الجو حارا - داخل الغرفة - على الرغم من النافذة المفتوحة .. و « جينيت » لم تزل تتقلب في فراشها لا يواتيها النوم . وخطوات مستر « بايك » تصل الى سمع « ميجرية » - وهو ذاهب للمرة الرابعة الى دورة المياه - وما أخبث هذا الانجليزى ! .. فهو يعاني الان من تأثير الصورة التى رسمها للهولندى الشاب ، ولا يستطيع أن يراه الا فى ذلك الضوء .. مع أن هذه الصورة لم يرض عنها « ميجرية » كثيرا

ظل « ميجرية » طول السهرة ينظر الى الهولندى من خلال عيني « بايك » . والفتى جالس هناك مع عشيقته « أنا » التى داعبها النعاس ، فجعلت تلقى بنفسها على كتف صاحبها و « دى جريف » لا يكلمها .. وهو واثق أنه لم يعودها على تجاذب الحديث معه ، بل كان يعتبر نفسه الذكر والقائد الذى يجب أن تتبعه وتنقاد له بخضوع ، وأن تنتظر فى صمت أن يفصح عن رغباته وارادته وطوال السهرة كان « دى جريف » ينظر فيما حوله ، ويرقب ما يدور بانتباه .. وما أشبه وجهه النحيل للفاية بحيوان من الضواري التى تكمن فى القاب ، وهى دائما على أهبة للانقضاض ولم يكن الباكون حملانا وديعة بريئة .. بيد أن « دى جريف » لم يكن هناك شك فى أن طبيعته هى طبيعة الضواري .. فهو يتنسم الهواء كما تنسمه الضواري . وكان هذا التنسم لازمته المتكررة ، يصفى الى ما يقال من حوله ثم يتنسم ولا يقول شيئا !

وعندما سأل « ميجرية » ذلك الرجل الطيب النشيط « ليشار »
عن مسز « ويلكوكس » وصاحبها قائلاً :

– ألا يأتى سكان « كوكب الشمال » الى هنا كل ليلة ؟
– انهما يأتيان الى هنا كل ليلة تقريبا .. بيد انهما قد يأتيان في
وقت متأخر .. وحينما يكون البحر هادئاً والقمر ساطعاً يأتيان في
زورق صغير ..

– وهل مسز « ويلكوكس » والميجر صديقان ؟
– انهما يتحاشيان التحدث معا .. وكل منهما ينظر الى الآخر
وكانه غير موجود !

وأدرك « ميجرية » علة هذا التباعد .. فهما من بيئة اجتماعية
واحدة ، وكل منهما هجر وطنه ليقيم في هذه الجزيرة ويطلق لنفسه
العنان في خلع العذار . ولاشك في أن الميجر يشعر بحرج شديد
لانه يسكر على مرأى من مسز « ويلكوكس » .. فالسادة المهذبون
في بلاده يسكرون بمعزل عن السيدات خلف أبواب مغلقة !

ولاريب في أن مسز « ويلكوكس » أيضاً لم تكن تشعر بغاية الزهو
والافتخار بصاحبها « موريكور » بين سمع ذلك الضابط المتقاعد
وبصره ...

وحينما دقت الساعة احدى عشرة دقة حضر الاثنان .. وأصيب
« ميجرية » بخيبة أمل ! فلم تكن تشبه في شيء الصورة التى زوقها
خياله عنها .. كان يظنها سيدة راقية ، فاذا به يرى امامه امرأة
نصفا ممتلئة الجسم ذات شعر أحمر – يدين بحمرته لمصادر
صناعية – وصوتها الاجش يشبه في خشونته صوت الميجر « بللام » ،
الا أنه أعلى طبقة من صوته . وكانت ترتدى ثوبا من الكتان الرخيص ،
بيد أنها تزين عنقها بعقد ثلاثى من اللؤلؤ النفيس . وفي اصبعها
ماسة ضخمة يشع منها « النور » !

ومن أول نظرة عرفت « ميجرية » وميزته .. ولا بد أن « فيليب
دى موريكور » قد روى لها ما كان بينه وبين « ميجرية » من حديث
في قاعة البلدية .. فمنذ جلست وهى تحدجه بنظراتها ، ثم تناقش
في أمره بصوت منخفض مع رفيقها ..
ترى ما الذى كانت تقول ؟ ..

أتراها كانت تراه كما يراها ثقيلًا سوقيًا ؟ . أتراها كانت تتخيله
قبل أن تراه شبيهاً بنجوم الشاشة البيضاء ؟ . أتراها تظن مظهره
لا ينبى عن فرط الذكاء ؟

وكانت تشرب مع رفيقها الويسكى مع النذر القليل جدا من
الصودا . وكان « فيليب » يقوم على خدمتها كمن شمر عن ساقيه
وساعديه .. وكانت مراقبة « ميجرية » اياه تثير أعصابه .. فهو
بطبيعة الحال لا يستريح كثيرا لظهوره أمام عيني كبير المفتشين أثناء
قيامه بأعباء وظيفته علنا ..

وأما هي فكانت تتعمد تكليفه بخدمتها ، فبدلاً من أن تنادى
« جوجو » أو « بول » ، كانت ترسل عشيقها ليحضر لها كوباً
نظيفاً أو ليشتري لها السجائر .. وذات مرة أرسلته الى الخارج
والله وحده يعلم فيم أرسلته ! ..

إنها حريصة بمسلكها معه أن تؤكد سلطانها على وريث آل
« موريكور » الكرام .. وفي الوقت نفسه أن تبدي للناس أنها
لا تشعر بالخجل من سلوكها الشائن ..

وكانت الانجليزية وصاحبها قد أوماً بالتحية الى « دى جريف »
ورفيقته ، ولكنه ايماء خفى كالإشارات التى يتبادلها « الماسونيون »!

وكان الميجر - على خلاف ما توقعه « ميجرية » - هو أول من
غادر الخان ، محتفظاً بوقاره وان كان يتراخ قليلاً .. وسار مستر
« بايك » معه جانبا من الطريق . وعلى أثره انصرف طبيب الاسنان
.. وترك « شارلو » الآلة الموسيقية التى تبيع الفواكه ، وجلس
على مقعد قريب من لاعبي الضامة . وأشار بلعبة أو لعبتين على
« جينيت » . ولما نهض المسيو « اميل » منصرفاً ، أوى « شارلو »
أيضاً الى فراشه وبقيت « جينيت » ساهرة كأنها فى انتظار الاذن
من « ميجرية » .. ولما لم يبد حركة ، اتجهت نحو مائدته وهمست
وهى تفر عن ابتسامة يسيرة :
- ألم تزل ساخطاً على ؟ .

وكان واضحاً جداً أنها مجهدة .. فنصحها بالتوجه الى مخدعها
كى تحظى بالنوم . وصعدت وصعد هو على أثرها مباشرة ، اذ خطر
له أنها ربما توجهت الى حجرة « شارلو » ..

ولما داعب النوم جفنيه لأول مرة ، ومض في ذهنه وهو بين اليقظة
والحلم أنه وقع على اكتشاف خطير .. ولكنه لم يستطع أن يحدد
بالضبط ما هو هذا الاكتشاف . فقال لنفسه : يجب ألا أنسى هذا
.. وينبى أن أتذكر هذا الاكتشاف غدا صباحا ..

وهم أن ينهض من فراشه ويسجل خاطر في ورقة حتى يضمن
عدم نسيانه في الصباح .. ولكن أجفانه ثقلت وراح في سبات !
واستغرق « ميجرية » في النوم للمرة الثالثة أو الرابعة في تلك

الليلة . ثم استيقظ على أصوات انفجارات ، ووجد أشعة الشمس
تفمر الحجرة .. وأخيرا أدرك أنها أصوات محركات قوارب الصيد
وهي تخرج من المرفأ . وبعد قليل ساد الصمت .. فان جميع
الصيادين يخرجون في وقت واحد لالتماس الرزق ..

وساورته الرغبة في النهوض وارتداء ثيابه والخروج الى الهواء
الطلق ، ثم نظر في الساعة فوجد أنها الخامسة صباحا .. والسكون
سائد في الخان وفي الميدان ، فأغلق عينيه واستسلم لفترة أخرى
من النعاس . ولما فتحهما مرة أخرى كانت رائحة القهوة تملأ
خياشيمه ، وأصوات غدو ورواح ترن في الدهليز وفي الميدان

وعلى الفور تذكر أن هناك شيئا هاما كان يحرص على استرجاعه
.. ولكن ذاكرته خائته ، ولعل للمرارة التي في حلقه من أثر شراب
العرق نصيبا في تلبذ ذهنه . ومد يده يلتمس زر الجرس ليطلب
شيئا من القهوة تنعشه .. ولكنه لم يجد للجرس زرا ! .. فارتدى
بنطلونه وقميصه وخفا خفيفا ، ومشط شعره على عجل ، ثم فتح
الباب . وقابلت خياشيمه رائحة قوية من العطر والصابون صادرة
من حجرة « جينيت » . ولا بد أنها كانت منهمكة في « مراسم »
زينتها ..

ألم يكن ذلك الاكتشاف الذي ظن بالامس أنه وصل اليه ذا علاقة
بها ؟

ربما .. ولكنه ليس متأكدا ..
ونزل « ميجرية » الى قاعة البار ، فوجد بها المقاعد مكومة فوق
الموائد والابواب مفتوحة ، ولا أحد هناك ولا في الشرفة .. فاتجه
الى المطبخ الذي بدا لعينيه لأول وهلة معتما ، فلم يستطع أن يتبين

فيه شيئا .. وصافح اذنه في الظلام صوت يقول :
- طاب صباحك يا سيدى .. هل نمت نوما جيدا ؟
وكانت صاحبة ذلك الصوت هي « جوجو » في زيها الاسود
البالغ القصر الملتصق بجسدها .. ولم تكن قد غسلت وجهها بعد ..
- الك رغبة في قدح من القهوة ؟

وانتقلت أفكاره في تلك اللحظة الى مدام « ميجرية » التي لا بد
أنها تعد الآن الافطار في مسكنهما بباريس والنوافذ المطلة على شارع
« ريشار » مفتوحة .. وخطر له أن المطر لا بد ينهمر الان في باريس
التي تركها والجو فيها بارد شبيه بجو الشتاء . ولكن من ينظر الى
صفاء السماء في هذه الجزيرة لا يكاد يصدق أن المطر ينهمر في
العاصمة ..

- هل أعد لك مائدة ؟

وماذا عساه يصنع بمائدة ؟ انه على مايرام هنا في المطبخ .. وهي
واقفة بقربه تطهو شيئا فوق الموقد ورائحته الطيبة تملأ الخياشيم .
وهو لم يزل يقدح زناد فكره عسى أن يتذكر اكتشاف الليلة الماضية ،
وهو في الوقت نفسه يجاذب « جوجو » أطراف الحديث من غير أن
يفكر فيما يقول !

- ألم ينهض المسيو « بول » من نومه بعد ؟

- انه الان في المرفأ .. ذهب الى هناك منذ فترة طويلة ، فمن
عادته أن يذهب يوميا ليشتري من المرفأ ما يلزم للخان من الاسماك
من أول قارب للصيد يعود من عرض البحر ..

ونظرت « جوجو » الى ساعة الحائط ، قالت :

- ان السفينة « كورموران » ستقلع بعد خمس دقائق ..

- وهل استيقظ أحد آخر سوى المسيو « بول » ؟

- مسيو « شارلو » ..

- وماذا يصنع الآن ؟ ..

- ذهب في صحبة المسيو « بول » .. وكذلك خرج منذ ربع

ساعة على الاقل صديقك الانجليزى . ولا بد أنه الان في الماء ، فقد
خرج في ثياب الاستحمام والمنشفة تحت ابطه

آه .. لا بد أن ذلك الاكتشاف له علاقة بـ « جينيت » . ولكنه

متصل في عقله أيضا بـ « جوجو » . وهو يتذكر الآن انه وهو بين
اليقظة والنام قد استرجع صورة « جوجو » وهي تصعد السلم
أمامهما ..

انه في اليوم السابق كرر أكثر من مرة على « جينيت » سؤاله :
- لماذا جئت الى هنا اليوم ؟ ..

وراوغت « جينيت » وكذبت عليه عدة مرات .. فقالت في مبدأ
الامر أنها جاءت لمقابلته عندما علمت أنه في الجزيرة ، واعتقدت أنه
سيبعث في طلبها .. وبعد قليل اعترفت بأنها مخطوبة على نحو
ما الى المسيو « اميل » . ومعنى هذا انها اعترفت في الوقت نفسه
بأنها جاءت لتبرئته ، ولتؤكد لكبير المفتشين أن مخدمها لا علاقة
له بمصرع « مارسلان » !

ولم يكن مخطئا كل الخطأ في قسوته عليها .. لانها رضخت
أمام الشدة ، وكشفت عن بعض نواياها .. ولكنها لم تكشف عما
فيه الكفاية !

وظل « ميغريه » يشرب قهوته في رشقات صغيرة بطيئة وهو
واقف أمام الموقد ... وسألته « جوجو » :

- ألا تريد أن تأكل شيئا ؟ ..

- ليس الان ..

- بعد ربع ساعة يخرج الخباز من الفرن الدفعة الاولى من
الارغفة الساخنة

وفي هذه اللحظة استرخت ملامح وجه « ميغريه » .. ولا بد أن
« جوجو » عجبت في دخيلة نفسها لماذا بدأ يبتسم بعد شرود طويل

لقد تذكر ! ..

ألم يقل « مارسلان » لـ « جوجو » شيئا عن رزمة كان في وسعه أن
يحصل عليها ؟

لقد كان ثملا حين قال لها هذا .. هذا أمر مؤكد . ولكنه كان
في أغلب أحواله ثملا . و « جينيت » كان من عاداتها أن تزور الجزيرة
مرة في كل شهر تقريبا ، ولا بد أنها أتت في الشهر الماضي .. وهذا
أمر يمكن التأكد منه . ومن الجائز أيضا أن « مارسلان » كان
يراسلها ..

وإذا كان في وسع « مارسلان » أن يضع يده على تلك النقود الطائلة .. فمن الجائز أيضا أن شخصا آخر كان في استطاعته أن يحصل عليها ، إذا كان مثلا يعرف عن مصدرها أو موضعها ما يعرفه « مارسلان » ..

وظل « ميغريه » حيث هو .. وفنجان القهوة في يده ، ونظراته موجهة الى فرجة الباب .. و « جوجو » ترمقه بنظرات الفضول لقد زعم « ليشار » أن « مارسلان » لقي حتفه لأنه كان كثير الكلام عن صديقه الكبير « ميغريه » .. وهو فرض يبدو لأول وهلة جائزا ..

وفي تلك اللحظة ، دخل الى المبنى المستر « بايك » عاريا تقريبا ومنشفته في يده وشعره لاصق بجبينه .. ولم يشغل نفسه بتحية « بايك » بل انصرف الى ترتيب أفكاره . وكانت نقطة البداية هي افتراضه ان « جينيت » جاءت الى الجزيرة لأنها تعرف بالضبط لماذا لقي « مارسلان » حتفه . وليس من الضروري أنها جشمت نفسها هذا العناء لتحول دون اكتشاف الجاني .. فبمجرد زواجها من المسيو « اميل » ستحصل من الثروة على ماتشتهى وزيادة .. ولكن أمه الصجوز ربما « تلكأت » في الموت بالرغم من قرار الاطباء ! ولهذا فمن المعقول أن « جينيت » حريصة على امتلاك تلك الرزمة التي تحدث عنها « مارسلان » فورا .. ولعلها موجودة في مكان ما ، وفي وسعها هذه المرة أن تنالها بالرغم من وجود « ميغريه » و « ليشار » ! ..

الأخ الأصفر

كانت الساعة الثامنة الا ثلاث دقائق عندما قال « ميغريه »
ببراءة :

- أظن « ليشار » لم يزل نائما بعد سكرة الامس ..
فقال « بايك » :

- لقد رأيته منذ قليل يصعد الى ظهر السفينة « كورموران » .
وأعتقد أن السفينة ستنتظر « جينيت » ..

وكان « ميغريه » قد نسى كل شيء عن جنازة « مارسلان » .
ونسى أيضا بالطبع انه قال بالامس للمفتش « ليشار » :

- اذهب معها أنت لتشيع الجنازة .. وأنت فاهم طبعاً لماذا
ستصحبها . ولا أزعج أن هذا سيؤدي الى شيء ، ولكنى أحب أن
تسجل تصرفاتها . وربما حاول أحد أن يتحدث اليها خلسة . وقد
ترى في الكنيسة أو موكب الجنازة وجهها يوحى اليك بشيء ..

وهو يتذكر الان تلك التعليمات .. ويفهم أيضا لماذا فتحت
« جينيت » باب حجرتها وصاحت بأعلى صوتها من رأس السلم :
- صبي لى قدحا من القهوة يا « جوجو » .. ترى كم بقى أمامي
من الوقت ؟

- ثلاث دقائق ياسيدتى ..

وفي هذه اللحظة ، دوى صوت صفارة السفينة ايذانا بقرب
اقلاعها . وقال كبير المفتشين عندئذ :

- سأمشى معك حتى المرسى ..

وصحبها فعلا في خفه وبغير ياقة .. فلم يكن أمامه وقت لارتداء

ثيابه . ولكنه ايضا لم يكن الشخص الوحيد الذي يبدو في هذا
الزى ، فمعظم الناس في المرفأ كانوا هكذا . وهكذا أيضا ذهبوا
بعد اقلع السفينة لتناول كأس من النبيذ الابيض عند « بول » او
في احد المقاهى . ولما رأى « ليشار » رئيسه نزل من السفينة
وحياه ، وأخبره أن عددا كبيرا من الصيادين سيذهبون أيضا
للاشتراك في جنازة « مارسلان » ..

وألقى « ميجرية » نظرة على اليخت « كوكب الشمال » فوجده
ساكنا لا حركة فيه .. وصعدت « جينيت » الى سطح السفينة
في ثياب سوداء وخمار أسود ورائحة عطر خفيف تفوح منها ، وأقلعت
السفينة على الاثر والناس يتطلعون الى الخط الابيض الذي ترسمه
دواليبها في البحر الهادىء كالحصير ..

وفي « سفينة نوح » وقف « بول » يقدم النبيذ الابيض لعملاء
الصباح . وكان مستر « بايك » قد ارتدى ثيابه فجلس الى مائدة
يأكل طعاما مطهيا على الطريقة الانجليزية من البيض واللحم المجفف .
وشرب « ميجرية » كوبا من النبيذ .. ثم صعد الى حجرته وأخذ
يحلق ذقنه أمام النافذة .. واذا بطرقة على الباب :
- من هناك ؟ ..

- هل أستطيع أن أدخل ؟ ..

وكان الطارق هو مستر « بايك » .. دخل وجلس في المقعد
الوحيد . ثم ساد صمت طويل ، قطعه « بايك » قائلا :

- قضيت شطرا طويلا من الليل أتجاذب الحديث مع الميجر ..
هل تعلم أنه كان من أبرع لاعبي البولو عندنا ؟

ولابد أن « بايك » شعر بخيبة أمل كبيرة عندما وجد « ميجرية »
لم يتأثر بهذا الخبر . فليس لديه الا فكرة غامضة جدا عن لعبة
البولو .. فكل ما يعرفه عنها انها لعبة تؤدى من فوق ظهور الخيل ،
وان في غابة بولونيا أو في « سان كلو » ناديا ارستقراطيا جدا لهذه
اللعبة .. ولكن يظهر أن لها أهمية خاصة عند الانجليز ..

واستطرد « بايك » يقول :

- انه أخ أصفر ..

وكانت هذه الجملة تعنى الشيء الكثير عند « ميجرية » .. فهو

يعلم ان العائلات الكبيرة في انجلترا يرث فيها الابن الاكبر اللقب والثروة كلها ، فيضطر الاخوة الاصغر منه الى شق طريقهم في الحياة اما في الجيش او في البحرية ..

- واخوه الاكبر عضو في مجلس اللوردات .. وقد اختار الميجر ان يكون ضابطا في الجيش الهندي .. فذو الاسماء التاريخية للعريقة يفضلون عدم الاقامة في لندن الا اذا كانت لديهم موارد كافية للظهور والوجاهة . ومن يعملون في الجيش الهندي يجدون تحت تصرفهم عددا كبيرا من الخيول ، ولعبة البولو تحتاج الى اسطبل عامر بالامهار ..

- الم يتزوج الميجر قط ؟ .

- الاخوة الصفار قلما يتزوجون .. فلو ان « بللام » تزوج وانجب لاضطرته مسؤوليات الاسرة الى التخلي عن خيوله ! ..
- وطبعا اثر هو الاحتفاظ بالخيول ؟ ! ..

ودهش « ميجريه » لان ذلك لم يكن موضع عجب على الاطلاق عند ضيفه الانجليزى الذى استطرد يحدثه عن الحياة في الجيش الهندي القديم :

- وفي الامسية الحارة هناك ، في الهند ، يتجمع الضباط العزاب في النادى ولا يجدون لهم سلوى سوى شرب الخمر . وقد شرب الميجر كميات ضخمة في شبابه .. والشراب السائد في الهند بين الضباط هو الويسكى . ولم يشرب الميجر الشمبانيا الا عندما استقر في هذه الجزيرة ، فتعلق بها ولم يعد يعدل بها شرابا آخر

- وهل أخبرك لماذا اختار الاقامة في هذه الجزيرة ؟

- حدثت له مأساة أليمة هى أسوأ ما يمكن أن يقع لرجل من طرازه ، فقد سقط من فوق أحد خيوله وظل ملقى في فراشه ثلاث سنوات قضى نصفها في « تابوت » من الجبس . فلما التأم عظامه واصبح في مقدوره المشى أيقن انه لم يعد في استطاعته ركوب الخيل ! وهذا هو السبب ..

- فى تركه الهند ؟

- هذا هو السبب فى وجوده هنا .. وأنا واثق أنه حيثما يكون الطقس شبيها بطقس هذه الجزيرة - سواء فى البحر الابيض

المتوسط أو في المحيط الهادى - ستجد كهولا على شاكلة هذا
الميجر ، يعتبرهم الناس من ذوى الشذوذ . ولكن أين يستطيع مثله
أن يعيش الا فى مكان كهذا ؟

- الا تساورهم الرغبة فى العودة الى انجلترا ؟
- ان مواردهم لا تسمح لهم بالحياة فى لندن حياة لائقة بمستواهم
واسمهم العريق . وفى الريف الانجليزى ينظرون شذرا الى من
تعودوا الشراب بافراط مثل الميجر « بلام »

- ألم يخبرك لماذا لا يتحدث الى مسز « ويلكوكس » ؟

- لم تكن به حاجة الى أن يخبرنى ..

ولم يدر « ميجريه » هل يلح عليه فى السؤال ، أم أن مستر « بايك »
يفضل ألا يخوض كثيرا فى حديث مواطنته هذه ؟ ان مسز « ويلكوكس »
بايجاز ليست بين النساء بالصورة المقابلة لصورة الميجر بين الرجال



شارلو

كان المرفأ يبدو خاليا - الى حد كبير - بعد رحيل السفينة « كورموران » الى الشاطئ الآخر حيث تبدو وكأنها نقطة صغيرة بيضاء . ولاشك فى أنها ستعود محملة بأقفاص من الفاكهة والخضروات لحانوت العمدة وللشركة التعاونية ، وكمية من اللحم للجزار ، وزكائب البريد

وعلى اليخت الابيض كان البحارة مشغولين بالتنظيف والفسيل .. والى يمين المرفأ مسلك ضيق يصعد ربوة عالية فى قمته كوخ له باب مفتوح . وعلى عتبة ذلك الباب جلس صياد ، وقد بسط امامه شبكة صغيرة يرتق ما بها من ثقوب .. وفى هذا الكوخ قتل « مارسلان » ..

وألقى المفتشان الانجليزى والفرنسى نظرة على الداخل .. فاذا فى وسطه اناء ضخيم لطفى الشباك فى سائل بنى اللون يحميها من تأثير ماء البحر ..

ولابد أن « مارسلان » كان يستخدم القلاع القديمة حشية ينام عليها .. فهناك كمية كبيرة منها مطروحة على الارض . وفى الاركان والزاوية آنية فارغة من أوانى الطلاء والزيوت ومجاديف محطمة . وسأل « ميجره » الصياد الجالس بالباب :

- هل ينام أشخاص آخرون هنا ؟

ورفع الصياد رأسه عن الشبكة ، وقال بغير اكتراث :

- العجوز « بنوا » ينام هنا احيانا ، عندما يكون هناك مطر ..

- وعندما لا يكون هناك مطر ؟ ..

- عندئذ يفضل النوم تحت السماء .. اما على مقعد من مقاعد
الميدان أو على ظهر زورق من هذه الزوارق ..
- وهل رأيتَه اليوم ؟ ..
- كان هنا منذ برهة ..
- وأشار الصيادالى درب محاذ للشاطئ على ارتفاع قليل ،
وتظلمه من أحد جانبيه أشجار الصنوبر ..
- وهل كان بمفرده ؟
- أظن أن السيد الذى ينزل بخان « سفينة نوح » قد لحق به
بعد قليل من سيره ..
- أى سيد ؟ ..
- ذلك الذى يرتدى بدلة من الكتان وقبعة بيضاء ..
- انه « شارلو » ..
- وهل جاء من هذا الطريق ؟ ..
- منذ نحو نصف ساعة ..



ولم تنزل السفينة «كورموران» تبدو وكأنها نقطة بيضاء وسط
زرقة البحر .. ولكن هذه النقطة البيضاء أصبحت الآن اكبر قليلا
عما كانت ، ومنفصلة انفصالا تاما عن الشاطئ المقابل .. وهنا
وهناك وسط زرقة البحر زوارق صغيرة متناثرة ..

ونزل « ميجرية » ومستر « بايك » الى المرفأ مرة اخرى ، وأخذا
يتمشيان كالامس على طول المرسى . وعندما مرا أمام زورق
الرسام الهولندى نظر « ميجرية » الى الداخل وأدهشه بعض
الشيء أن يرى « شارلو » هناك منهمكا فى الحديث مع «دى جريف» .
ان مستر « بايك » يتبعه فى صمت .. فهل تراه يتوقع أن
يحدث شيء ؟ أهو يحاول أن ينفذ الى أفكار « ميجرية » ؟ ..

وبعد أن وصل الاثنان الى نهاية المرسى ثلاث مرات ، كان
« شارلو » لا يزال فى مكانه داخل الزورق المسمى « زهرة الحب»
واخيرا صعد « شارلو » الى سطح الزورق ولوح بيده مودعا
« دى جريف » ونزل الى المرسى .. واقترب منه « ميجرية »
قائلا :

— كنت أبحث عنك هذا الصباح ..
— أنى كما ترى لم اغادر الجزيرة ..
— هذا بالضبط ما كنت أريد أن اتحدث اليك بخصوصه ..
فأنت قد أخبرتنى فيما أظن أنك أتيت الى هنا على نية تمضية
يومين أو ثلاثة . ولولا مصرع « مارسلان » لرحلت .. وكان
المفتش « ليشار » قد رأى أن يستبقيك ، ولكنى سأطلق لك الحرية
— شكرا لك
— وكل ما أطلبه منك أن تخبرنى أين أستطيع ان اجدك اذا
احتجت اليك ..
ونظر « شارلو » الى طرف سيجارته المتوهج برهة كأنه يفكر
ثم قال :

— ستجدنى فى « سفينة نوح » ! ..
وظهر العجب على وجه « ميجرية » وهو يسأله :
— الا تنوى أن تغادر الجزيرة اذن ؟ ..
— ليس فى الوقت الحاضر ..
ورفع رأسه ، ونظر نظرة ثابتة فى عينى كبير المفتشين ، ثم قال
— هل يدهشك هذا ؟ يخيل الى من يراك أنك مستاء لبقائى .
ولكنى أظن أن بقاءى فى الجزيرة شىء مسموح به ! ..
— ليس فى مقدورى أن امنعك من الاقامة .. ولكنى أعترف
بأن الفضول يساورنى كى أعرف ماذا جعلك تغير رأيك ؟ ..
— ليست لى كما تعلم مهنة تشغل كل وقتى .. ليس لى مكتب
ولا مصنع ولا موظفون ينتظرون عودتى .. الا توافقتى على أن
الاقامة هنا لطيفة ؟

ولم يحاول « شارلو » أن يخفى عنه تهكمه ! ..
وفى هذه اللحظة شوهد العمدة مقبلا نحو المرفأ يجر أمامه عربته
الصغيرة التى ينقل بها ما تحمله اليه السفينة القادمة من البضائع .
وأقبل كذلك مندوب الجرائد أوتيل بكسوته ومعه حمال الفندق ..
ان السفينة « كورموران » فى منتصف طريقها الان الى المرفأ ،
وستلقى مراسيها بعد ربع ساعة على الاكثر ..
وسأل « ميجرية » « شارلو » فجأة :

.. هل تحدثت حديثاً طويلاً الى العجوز « بنوا » ؟
- عندما رايتك منذ قليل أمام الكوخ اعتقدت أنك ستوجه الى
هذا السؤال . ولك طبعاً أن تستجوب « بنوا » كما تشاء .. ولكنى
أخبرك منذ الآن أنه لا يعرف شيئاً عن الجريمة التى تهتم بها ، أو
هذا على الأقل هو ما استطعت استخلاصه منه .. اذ ليس من
السهل أن يتبين الانسان لفة هذا العجوز . ولكن ربما كنت أنت
أسعد منى حظاً فى ذلك ..

- هل تريد الوصول الى شىء معين ؟
- ربما كنت أرمى للوصول الى ما ترمى اليه أنت !
وكانت هذه العبارة أشبه بالتحدى .. ولكنه تحدى القى فى اسلوب
المزاح

- هل تعرف لماذا قتل « مارسلان » يا « شارلو » ؟
- انى لا أعرف أكثر مما تعرفه أنت ..
- هل تحدثت اليك « جوجو » ؟ ..
- « جوجو » تتحدث الى انا ؟ ألا تعلم أن كلا منا يكره الآخر
كالقط والكلب ؟

- هل فعلت بها شيئاً أغضبها ؟ ..
- بل انها رفضت أن أفعل بها شيئاً .. وهذا سبب ما بيننا من
نفور ..

- يخيل الى يا « شارلو » أنه من الخير لك أن تعود الى الشاطيء
الآخر ..

- وأنا مع احترامى الشديد لرأيك أفضل البقاء ! ..
واقبل زورق خفيف من « كوكب الشمال » وفيه «موريكور»
منهمكا فى التجديف . ولعله آت ليكون فى استقبال السفينة
« كورموران » كى يسأل عن خطابات له أو لمسز « ويلكوكس » .
وكانت نظرات « شارلو » تتعقب التفاتات « ميغريه » . فلما
التفت نحو زورق الهولندى المسمى « زهرة الحب » بادره قائلاً :
- انه شخصية غريبة .. ولكنه ليس هو !

- أتعنى أنه ليس قاتل « مارسلان » ؟ ..
- ان الانسان لا يستطيع أن يخفى عنك شيئاً .. ولكن قاتل

«مارسلان» لا يعينى أمره ، فلا بد أن يكون مجنوناً من يقتل شخصاً
بغير سبب . ولا سيما إذا كان القتل مفرماً بالتصريح لكل من يعيره
سمعه بأنه صديق كبير المفتشين «ميجريه»
- وهل كنت في «سفينة نوح» عندما قال «مارسلان» أنه
صديقى ؟ .

- كان هناك أيضاً جميع الناس .. و «مارسلان» بعد بضعة
أكواب يكتسب صوته حدة ورنينا عالياً ..

- هل تعرف لماذا ذكر اسمى في تلك الليلة بالذات ؟
- لقد كان أول سؤال سألته لنفسى عندما علمت بمقتله هو من
الذى كان يكلمه «مارسلان» عندئذ .. أتفهم مرادى ؟
وكان «ميجريه» يفهم مراده تمام الفهم ..

- وهل استطعت أن تجد جواب هذا السؤال يا «شارلو» ؟
- كلا .. فلو أنى وجدته لركبت أول سفينة الى الشاطئ،
الآخر ..

- لم أكن أعلم عنك أنك مخبر جنائى هاو ..
- أنت تمزح ولاشك يامسيو «ميجريه» ؟ ..
وصمم «ميجريه» على أن يحمل «شارلو» على البوح بما
عنده ..

- أنت تعتقد أذن أن «مارسلان» لم يقتل بغير سبب ؟
- هذا هو رأيى فعلاً ..
- وهل تعتقد أن القاتل كان يحاول الاستيلاء على شىء فى حوزة
«مارسلان» ؟

- لا أنا ولا أنت نعتقد شيئاً سخيفاً كهذا ..
- أتعتقد أذن أن أحدهم كان يحاول إسكات لسانه لأنه يعرف
سراً خطيراً بالنسبة لبعض الناس ؟ ..

- لماذا أنت متلهف يامسيو «ميجريه» على معرفة ما أعتقده ،
وأنت تعرف من المسألة مثلما أعرف ؟ .
- بما فى ذلك رزمة البنكنوت ؟

- بما فى ذلك رزمة البنكنوت يامسيو «ميجريه» !
وأشعل «شارلو» سيجارة ثم استطرده :

– وأنت تعلم أن المال يثير اهتمامي .. هل ارتاح بالك الآن ؟
– وهل لهذا كنت في زيارة الهولندي هذا الصباح ؟
– ووجدته مفلسا تماما ..
– ومعنى هذا أنه ليس هو ؟ ..
– ليس هذا ما أعنيه .. كل ما أعنى أن « مارسلان » لم يكن
ليطمع في الحصول على ذلك المال منه ..
– لقد أخرجت من حسابك الفتاة يا « شارلو » ..
– الفتاة « أنا » ؟ .

– والدها واسع الثراء ..
وجعلت هذه الجملة « شارلو » يفكر قليلا ثم هز كتفيه . وكانت
السفينة « كورموران » تدخل في هذه اللحظة المرفأ . فقال
« شارلو » :

– باذنك .. ربما كنت في انتظار أحد
ولمس طرف قبعته بطريقة ساخرة وتحول الى المرسى ..
وانصرف « ميجرية » الى حشو غليونه ، فقال مستر « بايك » :
– أعتقد أن هذا الفتى حاد الذكاء ..
– من العسير أن ينجح انسان في مهنته تلك من غير أن يكون
ذكيا ..

وبدأ تفريغ حمولة السفينة ، فلاحظ « ميجرية » أن مندوب
« الجرانند أوتيل » استولى على امتهنة زوجين شابين أتيا لقضاء شهر
العسل . وأن « شارلو » التقى بامرأة شابة نازلة من السفينة
وصحبها صوب « سفينة نوح » .. فهو اذن كان ينتظرها ، ولا بد
أه اتصل بها تليفونيا في اليوم السابق ليدعوها للحضور ..
ودعاه ذلك للتفكير في اتجاه آخر .. فالمفتش « ليشار » حدثه
من هنا منذ يومين تليفونيا ليخبره بمصرع « مارسلان » . وهو
يعلم أن التليفون في « سفينة نوح » مجاور للبار بحيث يسمع جميع
الموجودين الاحاديث . ولهذا قرر أن يسأل « ليشار » في هذا
الخصوص

وكان الجميع الآن من قادمين ومستقبلين يتحركون صوب
« سفينة نوح » لاحتساء النبيذ الابيض .. فقال « ميجرية »
لـ « بايك » :

- اتحب نبيد هذه الجزيرة الابيض ؟
وفهم « بايك » مراد « ميجرية » فقال :
- يسعدنى جدا ان اشرب كأسا منه الآن ..

وهكذا اتجه الاثنان أيضا نحو « سفينة نوح » . وكانت النوافذ
الطابق العلوى « شارلو » واقفا ومن ورائه الشابة التى كان فى
استقبالها وهى تخلع ثوبها من فوق رأسها !..

وجلس « ميجرية » و « بايك » فى الشرفة .. وعندئذ شاهدا
مسيو « اميل » قادمًا نحو الميدان بخطوات قصيرة وعلى رأسه
قبعة من القش ، متجها صوب مكتب البريد القائم على يسار
الكنيسة . وكان باب المكتب مفتوحا وبداخله بضعة أشخاص ،
ووكيلة المكتب منصرفة الى فرز الرسائل الواردة ..

وجاء « بول » بزجاجتين من النبيذ الابيض ، فسأله « ميجرية » :
- هل تعرف المرأة التى صعدت مع « شارلو » الى حجرته ؟
- انها صاحبتة ..

- وهل هى فى خدمته ؟ ..

- لا أظن ذلك .. انها فى الغالب راقصة أو مغنية فى ناد ليلى
بمدينة مرسيليا . وهذه ثالث أو رابع مرة تأتى فيها للاجتماع
به هنا ..

- وهل كلمها تليفونيا بالامس ؟ ..

- نعم أمس بعد الظهر عندما كنت أنت فى حجرتك ..

- أتدرى ماذا قال لها ؟

- قال لها بكل بساطة : تعالى نقضى معا نهاية الاسبوع .. وقبلت

على الفور

- وهل كان « شارلو » و « مارسلان » صديقين ؟

- لا أتذكر أننى رأيتهما معا على انفراد ..

- أحب أن تتذكر بدقة ، فهذه نقطة هامة .. ففى تلك الليلة

عندما ذكر « مارسلان » اسمى ..

- أعرف مرادك .. ان المفتش « ليشار » ألقى على هذا السؤال

بعينه ..

- اظن أن الزبائن كانوا في بداية تلك الليلة جالسين الى موائد مختلفة مثل الامس ؟ ..

- نعم فالسهرة تبدأ دائما هكذا ..

- أتعرف ماذا حدث بعد ذلك ؟ ..

- أدار أحدهم الحاكى .. ولا أذكر بالضبط من هو ، فشرح

الهولندي وصاحبه يرقصان .. وأنا أذكر هذا جيدا لانى لاحظت

على الفتاة أنها تركت نفسها تسترخى تماما بين ذراعيه كأنها دمية

من القماش ..

- وهل رقص أحد سواهما ؟ ..

- مسز « ويلكوكس » والمسيو « فيليب » وهو راقص بارع ..

- وأين كان « مارسلان » في تلك اللحظة ؟ ..

- يخيل الى أنه كان عند البار ..

- هل كان ثملا جدا ؟

- ليس جدا .. ولكن بما فيه الكفاية . انتظر .. أذكر الآن انه

ألح على مسز « ويلكوكس » أن تراقصه ..

- « مارسلان » ؟ .. وهل قبلت ؟ ..

- رقصا معا بضع خطوات .. ولا بد أن « مارسلان » تعثر .

وكان من عادته أن يمثل دور المهرج اذا كان هناك جمهور . ولما قام

من سقطته أمر بالشراب لجميع الحاضرين على حساب مسز

« ويلكوكس » . وشرب « مارسلان » كوبا من الويسكى من زجاجة

مسز « ويلكوكس » ثم طلب نبيذا أبيض ..

- والميجر ؟ ..

- كنت أفكر فيه الآن .. كان جالسا تلك الليلة في الركن

المقابل . وأنا أحاول الآن أن أتذكر من الذى كان معه تلك الليلة ..

أظنه « بوليت » ..

- ومن « بوليت » ؟ ..

- انه صاحب الزورق الاخضر .. ويأخذ السائحين في الصيف

نيطوف بهم حول الجزيرة ، ويرتدى دائما قبعة قبطان

- وهل هو قبطان ؟ ..

- انه أدى خدمته العسكرية في الاسطول .. وصل الى رتبة

رتبة

صول بحرى . وكثيرا ما يصحب الميجر الى طولون ، وكان طبيب الاسنان يشرب أيضا معهما . وبعد ذلك شرع « مارسلان » يتنقل بين الموائد وفي يده كوبه ، يمزج فيه الويسكى بالنبيذ الابيض - ومتى بدأ يتحدث عنى ؟ والى من ؟ وهل كان ذلك على مائدة الميجر أم على مائدة مسز « ويلكوكس » ؟

- انى أبذل كل جهدى كى أتذكر .. وقد رأيت بنفسك أمس كيف يكون الزحام . لقد كان الهولندى وصاحبه قريبين من مسز « ويلكوكس » . وأعتقد أن الحديث عنك بدأ على تلك المائدة . وكان « مارسلان » واقفا فى وسط القاعة ، عندما سمعته يصيح : « كبير المفتشين » ميجريه « صديقى .. نعم هو صديقى .. وأنا أدري تماما ماذا أقول .. وأستطيع أن أقدم الدليل على ذلك » ..

- وهل أبرز خطابا ؟

- كنت مشغولا .. فلا أدري ان كان أبرز خطابا ام لا . وكذلك كانت « جوجو » مشغولة معى بالخدمة ..

- وهل كانت زوجتك فى القاعة ؟ ..

- أظن أنها كانت قد صعدت الى حجرتها .. فهى عادة تصعد الى المخدع عقب الانتهاء مباشرة من رصد الحسابات ، فصحتها ليست على مايرام وتحتاج لساعات طويلة من النوم

- اذن كان « مارسلان » بالاختصار يتكلم موجهها الخطاب اما الى الميجر أو مسز « ويلكوكس » أو الهولندى أو « شارلو » أو طبيب الاسنان أو المسيو « اميل » ؟

- أعتقد هذا ..

وسمع « بول » صوتا يناديه من الداخل ، فاستأذن وانصرف على عجل .. ولم يلبث أن جاء قائلا :

- أنت مطلوب على التليفون يامسيو « ميجريه » ..

ودخل « ميجريه » مسرعا وتناول المسماع :

- هذا أنت ؟ أنا « ليشار » .. لقد أنتهى كل شىء . وأنا الآن فى بار بالقرب من الجبانه ، والمرأة التى تعرفها معى .. لم تتركنى منذ صعدنا الى السفينة . واتسع أمامها الوقت كى تروى لى تاريخ حياتها ..

– وكيف تمت الجنازة ؟ ..

– على مايرام .. ابتاعت زهورا . ووضع بعض الصيادين القادمين من الجزيرة زهورا اخرى على القبر . وكان الجو حارا جدا في الجبانة . والان لا ادري ماذا افعل .. واعتقد اننى ينبغي ان ادعوها للفداء

– أهي تسمع حديثنا الان ؟ ..

– كلا .. فأنا في حجرة تليفون مغلقة ، ولكنى أراها من النافذة وهي تضع المساحيق على أنفها وتنظر في سرة أخرجتها من حقيبتها – ألم تقابل أحدا ؟ ألم تتحدث بالتليفون ؟

– انها لم تتركنى لحظة .. وكان على أن أذهب معها الى بائع الازهار ، وأمشى بجوارها وراء النعش كأننى من أفراد العائلة ..

– هل ركبتما السيارة العامة من المرسى الى هاير ؟

– لم يكن أمامى الا أن ادعوها لركوب سيارتى .. وهل كل شيء على مايرام فى الجزيرة ؟

– كل شيء على مايرام ..

وعندما عاد « ميجهريه » الى الشرفة وجد طبيب الاسنان جالسا بجوار مستر « بايك » فى انتظار نيذه . أما « فيليب دى موريكور » فكان يحمل تحت ابطه حزمة من الصحف ، وهو متردد فى الدخول الى « سفينة نوح » . وأما المسيو « اميل » فكان يسير ببطء صوب داره حيث تنتظره أمه العجوز ..



دائرة المعارف

اكتشف « ميجرية » بعد ظهر ذلك اليوم قطاعا كاملا من الجزيرة عندما اخترق الميدان وفي صحبته مستر « بايك » واتجه رأسا الى مكتب البريد . وخيل اليه أن رائحة البخور الذي يفوح من الكنيسة تملأ الجو . . . وبجوار باب المكتب المفتوح مقعد خشبي مطلى باللون الاخضر ، جلس فوقه « ميجرية » يستروح النسمات في ذلك اليوم القائظ . . .

ولما دخل أخيرا الى المكتب ، وجد في الكوة فتاة ذات وجه كوجوه الاطفال لا يزيد سنها على ست وعشرين سنة . . . ولكن نصفها الاسفل بدين غاية البدانة كأنها امرأة في الخمسين ، واسمها « أجلايه » ، وقد ابتدرته قائلة :

— كنت أعجب بينى وبين نفسى كيف لم تأت الى المكتب حتى الآن . فمن المفروض أن تحتاج الى استعمال التليفون ، وتليفون « سفينة نوح » غير مناسب للاتصالات ذات الطابع السرى لان الحديث فيه على مدى السمع من جميع الحاضرين . . .

— وهل يستغرق الاتصال بباريس وقتا طويلا يا آنسة ؟
— اذا شئت أعطيتك الاسبقية على جميع الناس ، فلا يستغرق ذلك سوى بضع دقائق . . .

— أذن أعطنى حكمندارية الشرطة فى باريس . . .
— انى أعرف الرقم . . . فأنا التى قمت بطلبه للمفتش « ليشار »
عندما اتصل بك فى باريس . . .

وأوشك « ميجرية » أن يسألها :
— وهل استرقت السمع ؟ . . .

بيد انه لم يجد داعيا لهذا السؤال لانها بغير شك ستفصح عن ذلك في غضون ثرثرتها معه ..

– وبمن تريد الاتصال في الحكمدرارية ؟
– بالجـاويش « لوقا » .. فان لم يكن موجودا فبالمفتش « تورانس »

وبعد بضع ثوان كان « لوقا » معه على الخط :
– كيف حال الجو عندك ؟ ألم تزل السماء تمطر ؟ بغزارة ؟
اسمع يا « لوقا » ! ابذل كل جهدك لتحصل لى على جميع المعلومات الممكنة بأسرع ما فى الاستطاعة عن شخص يدعى « فيليب دى موريكور »

– وهل هذا هو اسمه الحقيقى ؟ ..
– نعم فقد اطلع « ليشار » على أوراقه ، وهو يقول أن هذا اسمه الحقيقى فعلا . وآخر عنوان له فى باريس مسكن مفروش على الضفة اليسرى بشارع يعقوب رقم ١٧ ب

– وماذا تريد أن تعرف عنه بالضبط ؟
– ليست عندى فكرة محددة حتى الآن .. ولكنى أريد أن أعرف كل ما يمكنك الحصول عليه ..
– هل له ملف فى الارشيف عندنا ؟

– لا أظن أن له ملفا عندنا ، ولكن فى استطاعتك على سبيل الاحتياط ان تلقى نظرة على الارشيف .. قم بجميع اتصالاتك ثم اطلبنى هنا ..
– فى أى رقم ؟ ..

– لا رقم .. أطلب جزيرة بوركيرول وستجدنى فى الانظار بجوار التليفون

– أى خدمة أخرى ياسيدى ؟ ..
– نعم يا « لوقا » .. اتصل بادارة الشرطة فى أوستند .. نعم عاصمة هولندا . واسأل جميع المعلومات الخاصة بشخص اسمه « بيلمانز » وهو فى الغالب من كبار بناء السفن هناك ..

– هل هذا كل شىء ياسيدى ؟ ..
– ليس هذا كل شىء .. لاتقطعى الاتصال ياآنسة .. هل لك معارف فى تبارناس ؟

- نعم ياسيدى ..
- سلهم ماذا يعرفون عن شخص اسمه « جيف دى جريف » وهو رسام هولندى قضى وقتا طويلا فى نهر السين ، مقيما فى زورقه الصغير الذى كان راسيا تحت قنطرة مارى .. هل دونت كل هذه النقط ؟
- نعم .. أهذا كل شىء ؟
- نعم هذا كل شىء .. ولا تنتظر الى أن تحصل على جميع هذه المعلومات ، بل اتصل بى أولا بأول .. وكلف بهذه المهام أكبر عدد ممكن من الاشخاص تحقيقا للسرعة .. وهل كل شىء على ما يرام فى المكتب ؟
- وعندما خرج « ميجريه » من مقصورة التليفون رأى « أجلاية » ترفع السماعة عن أذنها من غير أن تشعر بخرج ..
- هل من عادتك أن تنصتى دائما الى المحادثات ؟
- بل بقيت معكم على الخط خشية أن يقطع ، فانا لا أثق بعاملة التليفون فى هاير لأنها قطة عجوز ..
- واهل تفعلين نفس الشىء مع كل انسان ؟ ..
- فى الصباح أكون مشغولة جدا بفرز البريد .. أما بعد الظهر فالمسألة أسهل بكثير ..
- هل تدونين مذكرة بالاتصالات التى تتم من الجزيرة ؟
- بل هذا من واجبات وظيفتى ..
- أفى استطاعتك أن تعدى قائمة بجميع الاتصالات التى تمت من الجزيرة فى الايام الثمانية الاخيرة ؟ ..
- حالا .. لن يستغرق هذا سوى بضع دقائق ..
- هل أنت التى تتلقين البرقيات أيضا ؟ ..
- نعم .. ولكن البرقيات قليلة جدا فى غير موسم الاصطياف . واليوم مثلا توليت ارسال برقية فى الصباح ، لا بد أنها ذات أهمية عندك ..
- ومن أدراك ؟ ..
- انها برقية أرسلها بعضهم من هنا .. وهو يستفسر عن أحد الاشخاص الذين طلبت الحصول على معلومات عنهم ..
- أديك أصل هذه البرقية ؟ ..

- سأبحث لك عنها ..

وبعد لحظة قدمت الى « ميجرية » البرقية التالية :

« فريد ماسون بطرف انجيلو شارع بلانش بباريس .. أريد معلومات كاملة عن « فيليب دي موريكور » بشارع يعقوب رقم ١٧ بباريس وأرجو الرد يرقيا .. الامضاء « شارلو »

وقدم « ميجرية » هذه البرقية الى مستر « بايك » الذي قراها وهز رأسه مرارا . ثم قال ميجرية لـ « أجلايه »

- أعدى لى من فضلك قائمة الاتصالات التليفونية التى تمت فى الايام الثمانية الاخيرة .. وسانتظر فى الخارج على المقعد مع صديقى

وبعد قليل قال مستر « بايك » وهو ينظر الى ساعة الكنيسة :
- بعد بضع دقائق سأستأذن منك كى أغيب عنك قليلا ، فقد دعانى الميجر لاحتساء كأس فى نحو الساعة الخامسة . وخشيت أن أبحر شعوره بالرفض .. فهل تأذن لى ؟

- لا بأس مطلقا ..

- كنت أظنك ستكون مشغولا ..

ولم يكده « ميجرية » يخلو ليدخن غليونه حتى نادته « أجلايه »

- مسيو « ميجرية » ! القائمة تحت أمرك !

فنهض « ميجرية » على الفور وتناول الورقة ، وعاد فجلس على المقعد الاخضر فى الخارج .. ووجدها قد كتبت القائمة بدقة وعناية ، ولم ترتكب من أخطاء الاملاء الا ثلاثة أخطاء أو أربعة . وتردد فى القائمة كثيرا اسم الجزائر .. والظاهر أنه يتحدث كل يوم الى هايير ليطلب احتياجاته من اللحم لليوم التالى ، ثم هناك الشركة التعاونية .. ووضع « ميجرية » علامة عند منتصف القائمة تقريبا ليفصل الاتصالات التليفونية قبل مصرع « مارسلان » وبعد مصرعه ..

وكان أكثر الاسماء الواردة فى القائمة تكرارا هو اسم « جاستين » التى كانت تتحدث الى نيس ، ومرسيليا ، وافينيون .. وفى مدى الثمانية أيام طلبت بباريس أربع مرات . وفى اليوم السابق طلب « شارلو » مرسيليا . وكان « ميجرية » يعلم هذا من قبل . فهذه هى المحادثة التى طلب فيها من صاحبه الحضور لقضاء نهاية

الاسبوع معه . وهى فى هذه الساعة تلاعبه الورق على شرفة
« سفينة نوح » التى تبدو فى الطرف الاخر من الميدان ، وقد اكتظت
بالجالسين واللاعبين مثل خلية النحل ..

واطرف مافى الموضوع ان اسم « مارسلان » كان فى القائمة ،
لانه طلب رقما فى نيس قبل مصرعه بيومين ..
وعلى الفور نهض « ميجهريه » قائما ، ودخل مكتب البريد وفى
اعقابه مستر « بايك » ..

- هل تعرفين رقم من هذا يا آنسة؟

- طبعا .. انه رقم دار الحوريات الذى تطلبه « جاستين »
كل يوم ..

- وهل تنصتين الى محادثات « جاستين » ؟

- أحيانا .. فأنا لم أعد أهتم بأحاديثها لانها ذات طابع لايتغير
- هل هى التى تتكلم أم ابناها ؟

- هى التى تتكلم ومسيو « اميل » يسمع ..

- لا أفهم ..

- انها صماء .. لهذا يتولى مسيو « اميل » الاستماع ثم
يصرخ فى أذنيها بما سمعه . وعندئذ تتولى هى الرد بصوت مرتفع
جدا يصعب تمييز مقاطعه . وأول شئ تسأل عنه هو جملة الايراد
ويسجله المسيو « اميل » فى ورقة أمامه . وهكذا تطلب بيوتها
بيتا بعد الآخر !

- أظن « جينيت » هى التى ترد عليها فى نيس ؟

- نعم .. باعتبارها مديرة ..

- وفى باريس ؟ ..

- محادثاتهما مع باريس قليلة .. وهى دائما مع نفس الشخص
المسمى المسيو « لويس » .. وفى هذه الاحاديث تطلب منه فتيات ،
فيذكر لها الاعداد والاسعار .. وتجيبه بلا أو نعم ، وتدخل أحيانا
فى مساومات كأنها تشتري حلايف فى سوق القرية .. !

- ألم تلاحظى شيئا غريبا على احاديثها فى الايام الاخيرة ؟ ألم

يتصل المسيو « اميل » باحد اتصالا خاصا على حده ؟ ..

- لا أظنه يجروء ..

- الا تسمح له أمه بذلك ؟ ..
- انها لا تكاد تسمح له بشيء ..
- « ومارسلان » ؟ ..
- كنت سأحدثك بشأنه الآن .. لو لم تسألنى ، لانه لم يكن من المؤلف ان يأتى الى مكتب البريد اللهم الا لصرف حوالات مالية ، ولا يستعمل التليفون أكثر من ثلاث مرات فى السنة ..
- ليتصل بمن ؟ ..
- مرة بطولون ليطلب قطعة غيار لموتور القارب الذى يملكه ، ومرة أخرى بنيس ..
- بجينيت ؟ ..
- نعم .. ليقول لها انه لم يتمكن من صرف الحوالة .. فهو كما تعلم يصرف حوالة تأتية منها كل شهر . وذات مرة أخطأت فى كتابة الحوالة .. كان الرقم بالحروف مخالفا للاعداد .. فلم يصرف الحوالة . وقد أرسلت اليه حوالة أخرى فى اليوم التالى ..
- ومتى كان ذلك ؟ ..
- منذ نحو ثلاثة شهور .. كان باب المكتب مغلقا ، ومعنى ذلك أن الوقت كان شتاء ..
- والمرة الاخيرة ؟ ..
- بدأت أصفى كالمعتاد للحديث .. واذا بمدام « جالى » تدخل لشراء طابع ..
- وهل كانت محادثة طويلة تلك المرة ؟ ..
- أطول من المعتاد .. ويمكننى التأكد على كل حال ..
- وأخذت تقلب صفحات دفترها ثم قالت :
- مدتان كل مدة منهما ثلاث دقائق ..
- لقد سمعت البداية .. فماذا قال « مارسلان » ؟
- قال شيئا كهذا : « أهذه انت ؟ نعم انا « مارسلان » .. كلا لأريد نقودا . وفى استطاعتى أن أحصل من النقود على أى كمية أشاء ... »
- هل علق على هذا الكلام بشيء ؟

- قالت ببرود: « لقد عدت للافراط في الشراب يا «مارسلان»! »
 - وماذا كان رده ؟ ..
- جعل يقسم لها أنه مالك لحواسه تماما ، ثم طلب منها شيئا
 غريبا ..
 - ماذا ؟ ..
- سألتها ان كان لديها في دار الحوريات قاموس لاروس الكبير !
 - وبعد ؟ ..
- وعندئذ دخلت مدام « جالى » .. وهذه السيدة عصبية
 لا يسهل ارضاؤها . وعند أقل هفوة أو تأخير تصيح بأعلى صوتها
 أن الضرائب التى تدفعها هى التى يتقاضى منها الموظفون مرتباتهم
 - لا أعتقد أن الست الدقائق تسمح لجينيت بالذهاب للنظر
 فى قاموس لاروس الكبير الذى يشبه دائرة المعارف البريطانية ثم
 العودة الى التليفون للافضاء الى « مارسلان » بالمعلومات التى
 يريد الاستفسار عنها ..
- فابتسمت الأنسة البدينة ، وقالت :
- طبعا لم يتسع لها الوقت ، لأنها أرسلت الرد برقيا .. أنظر !
 هاقد أعددت لك صورة برقيتها ..
- وتناول « ميجرية » الورقة الصفراء . وقرأ فيها مايقمى :
- توفى سنة ١٨٩٠ .. الامضاء « جينيت »
 ولما رأت وكالة مكتب البريد دهشة « ميجرية » واهتمامه ،
 قالت باسمه :
- كنت ستضيع على نفسك الشئ الكثير لو لم تحضر الى هنا
 لزيارتى .. فما كنت لاذهب أنا اليك ! ..
- وهل تذكرين وجه « مارسلان » حين قرأت تلك البرقية ؟
 - طبعا .. أعاد تلاوتها ثلاث مرات ليتأكد مما جاء فيها .. ثم
 انصرف وهو يصفر
 - صفر السرور ؟
 - نعم .. السرور والاعجاب أيضا بشخص ما
 - شكرا لك .. وستجديننى فى الخارج عندما تطلبينى باريس

الفصل الثالث عشر

مهنة سرلة

ومرت ثلاثة ارباع الساعة .. و «ميجريه» جالس يرقب العاب «السيجا» وفي هذه الاثناء جاء العروسان اللذان حضرا في الصباح الى الجزيرة ليرسلا بطاقات بريد . وحضر أيضا الجزار ، واتصل بهايبر تليفونيا لطلب كمية اللحم للغد .. وبين الحين والحين كان مستر «بايك» ينظر الى ساعة الكنيسة ويفتح فمه كمن يريد ان يقول شيئا ، ثم يعدل عن الكلام في آخر لحظة ..

وكانت الحرارة خانقة ثقيلة الوطأة على أعصاب كل منهما .. وأقلعت في هذه الاثناء السفينة «كورموران» ولاشك أنها عند عودتها ستقل الى الجزيرة المفتش «ليشار» ومعه «جينيت» وأخيرا سمع صوت «أجلاية» يناديه من الداخل :
- باريس !..

وكان المتكلم هو «لوقا» الذي يتولى ادارة مكتب «ميجريه» أثناء غيبته ..

- هذا أنت ياسيدى كبير المفتشين !

- نعم يا «لوقا» .. هل حصلت على المعلومات ؟

- على جانب منها فقط ياسيدى الرئيس .. وانا فى انتظار بقيتها من أوستند بعد قليل .. وبمن تريدنى أن أبدأ ؟
- بمن تشاء ..

- اذن نبدأ بموريكور .. ولم يكن الحصول على معلومات عنه أمرا شاقا ، لان المفتش «تورنس» يتذكر أنه قرأ اسمه على غلاف كتاب .. وهو اسمه الحقيقى فعلا . وقد كان والده تقيبا فى

سلاح الفرسان ، وتوفي منذ زمن طويل . واما والدته فتقيم في
سومير . وتدل معلوماتي انهم لا يملكون شيئا يدر عليهم ايرادا خاصا
وحاول « فيليب دي موريكور » عدة مرات ان يتزوج من فتاة
وارثة .. ولكنه كان يبوء بالفشل مع كل فتاة من هذا النوع ..
وكانت « أجلايه » تصفى للحديث بلا حياء .. وتفمز بعينها
« ليجريه » كلما سمعت شيئا يثير اهتمامها او يوافق هواها ..
- و « فيليب دي موريكور » يدعى انه من رجال الادب ..
وقد نشر ديوانين من الشعر لدى ناشر من ناشري الضفة اليسرى
وكان يتردد على مقهى الازهار ، وهو معروف جيدا هناك ...
واشتغل بالتحريير في عدد من الصحف . فهل هذا ياسيدى هو
ما تريد ان تعرفه ؟
- استمر ..

- ولم أحصل على تفصيلات أخرى لاننى قمت بجميع الاتصالات
تليفونيا ، ولكنى أرسلت شخصا موثوقا به ليأتينى بمزيد من
المعلومات . وستحصل على تفصيلات أخرى هذا المساء أو غدا ..
وعلى كل حال لم توجه اليه تهمة ، او على الاصح وجهت اليه تهمة
منذ خمس سنوات ثم سحب الاتهام
- انى مصغ فاستمر ..

- هناك سيدة تعيش في ضاحية أوتى الفخمة وسأحصل على
اسمها قريبا ، كانت قد سلمت « فيليب دي موريكور » طبعة
نادرة من كتاب ما ، كى يتولى بيعها لحسابها . وظلت بضعة شهور
بعد ذلك تنتظر عودته اليها عبثا ، فقدمت بلاغا ضده .. واتضح
انه باع الكتاب لثرى أمريكى ، ووعداها أن يقوم بدفع المبلغ اليها
على أقساط شهرية . وقد نفذ وعده فعلا ..
- هل هذا كل شيء ؟

- تقريبا .. وانت تعرف هذا النوع جيدا ياسيدى .. ثياب
أنيقة دائما والسلوك مهذب على الدوام !
- وبالنسبة للنساء العجائز ؟
- ليست لدينا معلومات محددة .. وكان يحيط علاقته بالسرية
التامة

- والشخص الاخر ؟

- « دى جريف » ؟

- نعم ..

- لقد كان كل منهما يعرف الاخر فى باريس .. ويبدو أن « دى جريف » شخص له أهميته ، فالبعض هنا يؤكدون أنه لو شاء لأصبح من أعظم الرسامين فى هذا العصر ..

- ولكن الا يريد هو ذلك ؟

- انه يتشاجر دائما مع كل انسان .. وقد رحل مع فتاة بلجيكية من أسرة كبيرة جدا ..
- أعرف هذا ..

- وعندما وصل الى باريس أقام معرضا لاعماله فى حجرة صغيرة بشارع السين . وفى اليوم الاخير عندما تبين أنه لم يبع شيئا من لوحاته أحرقتها جميعا ، ويقول البعض ان اللبالي الحمراء التى كان يحييها على سطح زورقه المسمى « زهرة الحب » كانت فذة فى مبادئها الصارخة . وقد تولى عمل رسوم ايضا حية لبعض الكتب الجنسية التى تباع خلصة ، وتخصص فى تصوير الشذوذ .. وهذا هو المصدر الوحيد الذى يعيش منه ..

- هل هذا كل شيء ؟

- هذا كل ما وصل اليه علمى .. وانا الان فى انتظار حديث تليفونى من أوستند

ومن النافذة الزجاجية لقمرة التليفون ، رأى « ميجرىه » صديقه مستر « بايك » يريه ساعته ، وعقاربها تشير الى الخامسة .. ثم لوح بيده واتجه صوب دار الميجر .. فشعر « ميجرىه » بارتياح عظيم كأنه طفل منحته المدرسة اجازة !

- اسمع يا « لوقا » ! اطلب زوجتى فى البيت وبلغها ان كل شيء على مايرام

ووجد نفسه بعد ذلك وجها لوجه امام « اجلايه » وقد ارتسمت على ملامحها امارات السرور .. وقالت بلا حياء :

- كم اتمنى أن أرى بعض هذه الكتب التى يرسم لها صورا ! أتظن أن لديه نسخا منها هنا ؟

ولم يدر بماذا يجيبها .. ولكنها لم تترك له فرصة للرد ،
وقالت :

- ان مهنتك أسهل بكثير مما يظن الناس .. فالمعلومات تنهال
عليك من كل جانب . أتظن أن القاتل حقا احد هذين الشخصين ؟
لقد نسيت ان أخبرك أن « فيليب دي موريكور » يرسل عددا
كبيرا من الخطابات ، فأنا اعرف خطه دائما . وهو يكتب دائما
بحبر أخضر اللون .. وان كنت لا أدري السبب في هذا
- والى من يكتب ؟

- نسيت الاسماء .. ولكن معظم خطاباته الى باريس . وبين
حين وآخر يكتب خطابا الى أمه ، ولكن خطابات باريس تمتاز
بثقلها ..

- وهل يتلقى خطابات كثيرة ؟

- كثيرة جدا .. ومجلات وصحفا . هناك دائما مطبوعات ترد
باسمه كل يوم ..

- ومسز « ويلكوكس » ؟

- تكتب كثيرا ايضا خطابات الى انجلترا وكابري ومصر . وانا
أتذكر مصر على الخصوص لاننى طلبت منها ذات يوم ان تعطينى
الطوابع المصرية لان ابن أختى يجمع الطوابع النادرة
- وهل تستعمل التليفون ؟

- جاءت مرتين أو ثلاث مرات لتطلب لندن من هنا .. وانا
للأسف لا أفهم الانجليزية .. ولهذا لم أعرف موضوع
الإحاديث ..

- ان مواعيد اغلاق المكتب هي الخامسة . ولكن اذا اردت
الانتظار ريثما يتصل بك « لوقا » من باريس

- سأنتظر في الميدان .. بالقرب من سفينة نوح لارقب مباراة
« السيجا » .. فاذا طلبتنى باريس فستجديننى هناك

واتجه « ميجرية » الى سفينة نوح ليشرب كأسا من النبيذ ،
فوجد « شارلو » منهمكا في ادارة الحاكي .. وصاحبته تطالع في
مجلة سينمائية ..

ولما رآه « بول » بمفرده سأله في دهشة بالغة :

- اليس صاحبك الانجليزى معك ؟

- انه مع مواطن يتحدثان لفتهما القومية ..

وكان من اليسير ادراك وصول السفينة « كورموران » فهاهم الناس يتقاطرون على الطريق لاستقبالها .. ثم هاهم بعد قليل يتقاطرون عائدين مع القادمين الجدد ..

ولم يتردد « ميجرية » فى الذهاب مع المستقبلين .. وما ان ألقت السفينة مراسيها حتى لمح على ظهرها « جينيت » والمفتش « ليشار » وكأنهما صديقان قديمان . وكان على ظهر السفينة أيضا الصيادون عائدين من تشييع جنازة « مارسلان » ..

ورأى « ميجرية » بين المستقبلين « شارلو » .. ولكنه فى هذه المرة لم يستقبل أحدا معينا . وبمجرد نزول « ليشار » الى البر قال « لميجرية » :

- أليس هناك من جديد ؟

- لاجديد ..

وكان التعب يبدو واضحا على وجه « جينيت » ، ونظراتها تنم عن شىء من القلق .. واتجه الثلاثة نحو « سفينة نوح » . وسألها « ميجرية » :

- هل تشعرين بظماً يا « جينيت »

- انى أرحب بكأس ..

وشرب الثلاثة فى الشرفة .. والقلق ينتاب « جينيت » كلما شعرت بنظرات « ميجرية » الثاقبة تتركز عليها . والواقع أنه كان ينظر اليها من غير أن يفكر فيها ، لان أفكاره كانت بعيدة عنها كل البعد ..

وأخيرا قالت بعد أن أفرغت كأسها :

- سأصعد لأغسل وجهى ..

فقال لها « ميجرية » ببراءة تامة :

- أتأذنين لى ان آتى معك ؟

وكان « ليشار » يشم رائحة شىء جديد .. ولكنه لم يستطع ان يخمن ماهو . ولم يجسر على سؤال ميجرية . فظل جالسا الشرفة ، وصعد كبير المفتشين وراء جينيت

تسليم

- ولما صارا وحدهما في حجرة النوم قالت له :
- أتعلم أنى أريد حقا أن أغير منهاج حياتى ؟
فقال لها ببرود :
- منهاج حياتك لا يزعجنى !..
- فتصنعت الهزل ، وقالت مازحة :
- ولكن لنفرض أنه يزعجنى أنا ؟ ..
- وانصرفت الى خلع ثوبها وقبعتها .. وهو جالس لا يحرك ساكنا . وتنهدت « جينيت » وقالت له :
- ان هذا الحادث قد هزنى .. وأظن أنه كان سعيدا هنا .
- ان « مارسلان » فى مثل هذه الساعة من المساء كان يشترك فى مباراة « السيجا » فى الميدان ، وأشعة الشمس الغاربة تنشر اذهب على برج الكنيسة وسقوف المنازل .. كان محبوبا جدا من الجميع ، ولهذا أظهر الكل عطفهم فى هذه المناسبة
- وأثناء هذا الكلام كانت قد خلعت المشد ، ولكن « ميجهيه » كان موليا اياها ظهره متصنعا النظر من النافذة .. وبعد فترة من الصمت قال لها :
- أتذكرين السؤال الذى ألقيته عليك ..
- لقد ألقيته على بالامس مرارا فكيف أنساه ؟ اننى لم أكن أصدق أنك يمكن أن تكون بهذه القسوة !
- وانا من جانبى لم أكن أصدق انك يمكن أن تحاولى اخفاء شىء عنى ..

- فتصنعت الدهشة وقالت له :
- وهل أخفيت عنك شيئاً ؟ ..
- لقد سألتك لماذا جئت الى هنا في حين ان جثة « مارسلان » موجودة في هايير في انتظار تشييع الجنازة ..
- وقد أجبتك عن هذا السؤال ..
- فقال بقسوة :
- وكانت اجابتك أكذوبة ..
- فقالت بهدوء مصطنع :
- لا أدري ماذا تعنى بهذا ..
- لماذا لم تخبرينى بالحديث التليفونى ؟
- فتصنعت الدهشة ، وقالت :
- أى حديث تليفونى ؟ ..
- فقال بحزم ، وهو يضع عينيه في عينيها :
- حين طلبك « مارسلان » تليفونيا قبل وفاته بيوم واحد ..
- فأجابت ببراءة تامة :
- أوه ! .. نسيت تلك المحادثة تماما ..
- فضاقت عيناه وهو يسألها :
- ونسيت أيضا برقيتك اليه ؟ ..
- ولم تحر جوابا .. ولكنه لم يرحمها وسألها :
- لماذا لا تجيبين ؟ فيم تفكرين ؟ ..
- أفكر في أننى كنت مخطئة ..
- ألم تذكرى شيئاً عن لاروس ؟ ..
- فسألته باستسلام :
- لمن ؟ ..
- لست أدري .. للمسيو « اميل » مثلاً أو لـ « شارلو » ..
- لا تبلغ بى الحماسة هذا المبلغ ..
- لأنك كنت تطمعين فى أن تخلفى « مارسلان » فى استغلال السر ؟ أتعلمين يا « جنيت » أنك امرأة متآمرة خطيرة ؟ ..
- فرفعت رأسها ، وقالت باحتجاج :
- هكذا يقول الناس دائما عن كل امرأة تحاول أن تؤمن

مستقبلها المزعزع ، وينهالون عليها بالاتهام والاحتقار والمطاعن
عندما ترغمها الفاقة على احتراف مهنة لم يكن لها يد في
اختيارها ..

وكان صوتها يقطر مرارة ، فداخل « ميجرية » الاشفاق عليها
وسألها :

- كنت أظنك ستتزوجين من المسيو « اميل » ؟ ..
- هذا في حالة انتقال « جاستين » من هذا العالم ، وبشرط
الآ تتضمن وصيتها نصا يحرم ابنها من الزواج .. ثم هل تظن
أن مشروع زواجي من المسيو « اميل » يملأ نفسي غبطة وابتهاجا
يا مسيو « ميجرية » ؟! ..

ورفع « ميجرية » حاجبيه قليلا ، وهو يسألها :
- هل أفهم من هذا أنك لو نجحت في استغلال السر الذي
يعرفه «مارسلان» لم تكوني لتتزوجي من المسيو « اميل » ..!
- طبعاً ما كنت لاتزوج في هذه الحالة ذلك الحطام العليل !
- وهل كنت تغادرين ذلك البيت الذي تديرينه في نيس ؟
فقالت بغير تردد :

- من غير شك .. كنت أغادره غير آسفة ..
- وماذا تفعلين بعد مفادرتة ؟ ..
- أذهب لآعيش في الريف .. في أي بقعة من الريف ، وأربى
الكتاكيت والارانب والحمام ..

وصمت « ميجرية » لحظة ، ثم سألها وقد هدأ :
- والآن .. ماذا قال لك « مارسلان » في التليفون ؟
- ستظن أنني أكذب عليك هذه المرة أيضا ..
فحملق في وجهها طويلاً ، ثم قال بهدوء :
- كلا .. لم أعد أشك في صدقك ..
- وهو كذلك .. قال لي انه اكتشف عن طريق الصدفة شيئاً
خارقاً للمألوف . كانت هذه كلماته بالضبط .. ثم قال ان هذا
الاكتشاف قد يجنى منه مالا طائلاً جداً .. ولكنه يريد أن يتأكد
من شيء ..
- وهل أشار الى شخص معين ؟ ..

- كلا .. وليس عهدي به ان يتصنع الغموض والابهام ..
كان بحاجة الى معلومات معينة ، وسألني ان كان عندي في الدار
قاموس لاروس الكبير الذي يزيد على العشرين جزءا .. فقلت
له ان مثل هذا القاموس لا يوجد عادة في بيت من بيوت الترفيه ..

- وماذا كان ردك ؟ ..
- الح على أن أذهب الى دار الكتب لأطلع على مادة معينة
في هذا القاموس

- وما هي هذه المادة ؟ ..
- أليس في هذه المعلومات التي قلتها لك الكفاية ؟ ..
- كلا .. أكملى ..
- لم أفهم شيئا مما طلبه مني ، ولكنني بدأت أفهم عندما جئت
هنا ..

- قلت لك تكلمى بغير مراوغة .. من هو الذي مات سنة
١٨٩٠ ؟

ففكرت فاما قليلا ، وقالت :
- هل قرأت البرقية اذن ؟ .. ألم يعدمها ؟ ..
- لا تصبى عليه اللعنات ظلما ! .. فان مكتب البريد يحتفظ
كما هي العادة بصورة من جميع البرقيات ..
فتنهدت « جينيت » وقالت باستسلام :
- شخص اسمه « فان جوخ » .. رسام . وقرأت في دائرة
المعارف المذكورة انه مات منتحرا وكان فقيرا جدا ، ولكن الناس
يتهافتون اليوم على لوحاته التي تساوى الواحدة منها عشرات
الالوف . وخطر لى أن « مارسلان » ربما وقعت في يده إحدى
تلك اللوحات الثمينة ..

- ولكن هذا لم يكن هو الوضع ؟ ..
- لا أظن ذلك .. فهو عندما كلمنى بالتليفون لم يكن يدري
ان ذلك الرسام انتقل من هذا العالم ..
- فما الذى ظننته اذن ؟ ..

- أقسم لك أننى لا أدري .. وكل ما هناك أنى قلت لى نفسى :
ما دام « مارسلان » كان فى مقدوره أن يكسب ثروة كبيرة من

وراء هذه المعلومات ، فمن الممكن أيضا أن اكسب أنا ذلك المال عن طريق تلك المعلومات بعينها . ولا سيما عندما سمعت أنه قتل .. فالناس لا يرتكبون جرائم القتل على سبيل التسلية . وهو انسان ليس له أعداء ، وليس عنده ما يستحق عناء السرقة .. فهل فهمت مرادى ؟

– اتعتقدين اذن ان الجريمة لها علاقة بالسيد « فان جوخ » المذكور ؟

– اعتقد ذلك ..

– أنت على حق في هذا الاعتقاد ولا شك ..

وتنهدت « جينيت » بتحسر وقالت :

– وما الفائدة ؟ .. لم يعد لهذه المعلومات قيمة بعد وصولك الى هنا .. وهل هناك سبب يدعو لابقائى فى الجزيرة .. انى استمتع هنا بأجازة طالما أنت تستبقينى هنا . ولا تستطيع تلك القطة العجوز « جاستين » أن تفتح فمها بكلمة اعتراض ..

فابتسم « ميجرية » ، وقال لها :

– سأؤدى لك هذه الخدمة وأستبقيك ..

– شكرا لك .. أنك تبدو الان لطيفا كما عرفتك فى باريس ..

ولم يكلف نفسه عناء الرد على ثنائها ، بل قال بايجاز :

– استريحى الآن قليلا ..

ونزل الى الطابق الارضى ، ومر بالقرب من « شارلو » الذى جعل يحدجه بنظرات فاحصة ، ثم جلس أمام « ليشار » فى الشرفة ..

وسأل « ليشار » رئيسه العبرى :

– هل وصلت الى شىء يا رئيسى ؟ ..

ولم يجب « ميجرية » على الفور ثم التفت اليه وقال :

– أخشى أن أكون قد وصلت فعلا الى شىء ..

وعندئذ جاءه من يناديه قائلا :

– التليفون من باريس يا مسيو « ميجرية » ..

ولعلها المعلومات الاخيرة من اوستند ..

بوليت

استقبل « ميجهيه » يوم الاحد ضيقا بجوه الثقيل على نفسه .. فهو طول عمره يكره ذلك اليوم من كل أسبوع .. وقد نبهته من نعاسه اصوات نواقيس تدق . لم تكن جهيرة الصوت مثل نواقيس الكنائس المعهودة ، بل هى نواقيس صغيرة ذات صوت حاد أشبه بنواقيس الديارات ، ينبعث منها الرنين فى دوائر صغيرة متتالية تتجاوز الميدان والبيوت المحيطة به الى المرفأ والى البحر الذى تتراقص فوق صدره الزوارق الصغيرة واليخوت البيضاء وفى اليوم السابق كان « ميجهيه » قد غادر حجرته منتعلا خفه .. واليوم أيضا فعل كما فعل فى اليوم السابق ، ارتدى سترته فوق قميص نومه ذى الياقة الحمراء المطرزة ، وهبط الى الطابق الاسفل ودخل المطبخ ولكنه أصيب عند دخوله هناك بخيبة أمل تامة .. فهو فى عقله الباطن كان يرجو أن يعيد ماحدث فى اليوم السابق ، فيجد نفسه مرة أخرى بقرب الموقد و «جوجو» تعد القهوة ، والباب المفتوح يفسح أمام عينيه مستطيلا مضيئا يفضى الى الخارج ...

أما اليوم فلم تكن « جوجو » وحدها .. بل كان هناك أربعة أو خمسة من الصيادين . ولا بد أن « جوجو » كانت قد قدمت اليهم شرابا كحوليا قويا ، فرائحة الكحول القوية تملأ جو المطبخ الدافئ . وعلى الارض سلة أسماك كبيرة مقلوبة ، ورأى «ميجهيه» بين الاسماك الازرق والاخضر .. ومعظمها من أنواع لم يعرف لها اسماء وكان هناك أيضا ثعبان من ثعابين البحر مرقش الجلد باللوان

حمرء وصفراء . ولم تزل الحياة تدب في أوصاله فيلتف حول
قائمة احد المقاعد ..

وقالت « جوجو » لـ « ميجرية » :

— الا تريد قدحا من القهوة يامسيو « ميجرية » ؟ ..

ولكن الذى قدم له القهوة لم يكن للاسف « جوجو » ، بل
« بول » صاحب الخان بنفسه .. فزاد ذلك من تعكر مزاج
« ميجرية » . وابتلع جرعات القهوة الساخنة بسرعة ، وهو متجهم
يحافظ على وقاره أمام أولئك الفرباء وهو فى مباله . ثم صب
لنفسه قدحا آخر حمله معه الى مخدعه فى الطابق العلوى .. وهو
يعجب بعض الشيء من تهيب من حوله بسبب وجوده . ويتذكر
عهدا من العمر غير بعيد كل البعد ، كان يستقبل فيه يوم الاحد
فى قبريته بينطلونه القصير ليذهب مع امه الى القداس الباكر ..
وانه ليذكر جيدا أن الكنيسة الصغيرة بالقرية كانت معتمة لا
تضيئها الا بضعة شموع ..

فى ذلك الزمن كان الجميع يأخذونه مأخذ الهزل .. أما اليوم
وقد استوى كهلا ، وصار لقبه كبير مفتشى الشرطة فى ادارة
المباحث الجنائية ، فما من أحد يشك فى كلمة يقولها أو يستخف
برأى له .. الجميع يرون كل كلامه خطيرا ، وهو وحده الذى يشك
أحيانا فى وزن ما يقول ! ..

وتساءل « ميجرية » بينه وبين نفسه : أترى يعانى غيرى من
الناس مثل هذا الاحساس ؟ هل المستر « بايك » مثلا يعجب أحيانا
من استهوال الناس لامره وأخذهم اياه مأخذ الجد على الدوام ؟
الا يخامرهم أحيانا أن ذلك كله هزل أشبه باللعبة الصبائية ، وأن
الحياة ليست فى حقيقة أمرها سوى مزحة كبيرة معقدة ؟

وانتقلت أفكار « ميجرية » الى الميجر العجوز « بللام » :

— أليس هذا الميجر سوى غلام تقدمت به السن ، وهو فى موضعه
عقليا وعاطفيا ؟ .. أليس شأنه شأن تلاميذ كثيرين يتخلفون فى
دراستهم حتى تعلو بهم السن ، ولا يستطيع المعلم الا أن يسخر
منهم ويتخذهم مادة للهزل ؟

ان مستر « بايك » قال شيئاً رهيباً في الليلة السابقة قبل ان تقع مسألة « بوليت » . وكان ذلك عندما تجمع الكل تقريبا في قاعة « سفينة نوح » في بداية الامسية . وبالطبع جلس « بايك » على مائدة الميجر . وبدا للجميع كان بينهما قرابة لقرب الشبه بينهما على الرغم من تفاوت العمر .. ولا بد أنهما شربا كثيرا بعد ظهر ذلك اليوم عندما توجه « بايك » لزيارة مواطنه العجوز في داره . ولكن الافراط في الشراب أثقل لسانهما من غير أن يفقدوا شيئا من اتزانهما .. وهذا جزء من التربية التي يتلقاها الانجليز في مدارسهم ومحافلهم !

وتوجه « ميجريه » ليجالس الانجليزيين الصامتين ، وما ان احتل مقعده بجوار « بايك » حتى تنهد « بايك » وقال همسا :
- لقد اصبحت منذ الاسبوع الماضي جدة !

ولم ينظر الى جهة المرأة التي يتحدث عنها والتي كان كعادته يتحاشى ذكر اسمها على لسانه .. ولكن ما من شك في أنها مسز « ويلكوكس » ..

وكانت مسز « ويلكوكس » موجودة هناك ، في الطرف الاقصى من القاعة جالسة على أريكة صغيرة مع صاحبها « فيليب » . والى المائدة المجاورة الهولندي ومعه صاحبته « أنا » ..

وسكت مستر « بايك » برهة ، ثم استطرد بصوت هادىء جدا :
- ابنتها وزوج ابنتها لا يسمحان لها بأن تطأ قدمها أرض انجلترا . والميجر يعرفها معرفة جيدة ..

يا للمرأة المسكينة ! لقد بدت لعينيه فجأة امرأة عجوزا لا يجد في نفسه رغبة أو ميلا للضحك من زينتها وشعرها المصبوغ وحيويتها المصطنعة !

انها جدة ! وقد جعل هذا النبأ « ميجريه » يتذكر على الفور جدته . وحاول أن يتخيل احساسه وسلوكه عندما كان طفلا ، اذ يقال له عند حضور سيده مثل مسز « ويلكوكس » :

- اذهب يا صغرى وقبل الجدة ! ..
انها محرومة من الإقامة في وطنها .. ومع هذا فهي لا تقاوم ولا تحتج ولا تتمرد على هذا التحريم ! انها تعرف تمام المعرفة أن الكلمة الاخيرة ليست لها ، وأن الصواب ليس في جانبها .. أنها

هي المذبذبة ...

انها تشبه من وجوه كثيرة الرجل السكر الذي يعطيه اهله اقل ما يمكن من النقود لمصروفة الخاص . ولكنه يحاول ان يخدع ذوية ليختلس كأسا من هنا وكأسا من هناك ، لانه لا يستطيع ان يقاوم الشراب !

ولكن أتراها تفعل ما يفعله السكرى ؟ هل تطفو همومها احيانا وتشعر بالتحسر على نفسها فتنفرد في ركن من الاركان وتجهش بالبكاء ؟

ربما كانت تفعل هذا حين تفرط في الشراب .. وهي قلما تجلس بغير شراب . وهي تكلف « فيليب » ان يملأ لها كأسا كلما شعرت بالرغبة في ذلك ..

اما « أنا » الجالسة بقربها فيبدو عليها انها لا تفكر في شيء الا ان يكون ذلك : متى ياترى يهم صاحبها بالقيام كي يتساح لها ان تاوى أخيرا الى فراشها ؟

وانتهى « ميغريه » من شرب قدح القهوة الثاني في حجرته ، ووقف أمام النافذة يحلق ذقنه بعد ان وجد باب الحمام مغلقا . ولقد كانت « جينيت » بداخله وصاحت به :
- سأفرغ في مدى خمس دقائق ..

وبين الحين والحين كان « ميغريه » ينظر من النافذة الى الميدان المقفر لأن الجميع في الكنيسة . وعاد يعجب من أمره ومن أمر مهنته ، فما هو الا رجل مثل سائر الرجال .. ولكن مصير سائر الرجال في يده .. سائر من في هذه الجزيرة من البشر ! .. لقد نظر اليهم واحدا واحدا في المساء السابق .. ولم يكن قد اكثر من الشراب ، بل أكتفى بجرعات قليلة تنشط خياله بعض التنشيط وهاهو « دي جريف » بلامحه المحددة يحملق فيه بين الحين والحين في صمت ساخر ويكاد ان يلقي في وجهه بالتحدى ...

وهاهو « فيليب » يبدو رغم سلالته العريقة واسم عائلته الشهير أقرب الى ملامح السوقة ، ولا سيما حين تأمره مسز « ويلكوكس » ليقوم على خدمتها .. ولعله يثار لنفسه منها في أوقات أخرى حين يضمهما الفراش الواحد . ولكن هذا لا يغير من

الواقع ، وهو اضطراره لابتلاع الاهانات التي توجه اليه علنا ...
وانها لاهانات غير هينة ، لايسهل ابتلاعها .. ولهذا كان الجميع
يشعرون بعدم الارتياح حين يشاهدونها . يسود الوجوم بسبب
ذلك . ويحار المسكين « بول » لهذا الوجوم ولا يدرك اسبابه فيبدل
جهدا يائسا لاعادة النشاط والحياة الى السهرة ..

لا بد أن الجميع اليوم سيتحدثون في طول الجزيرة وعرضها بما
حدث بالامس فهل ترى سيحفظ « بوليت » السر ؟ ..

ولقد كان « بوليت » عند حاجز البار ، وعلى رأسه قبعة
القبطان كالعادة . وكان قد تجرع كمية هائلة من المشروبات . وكان
يتكلم بصوت مرتفع .. صوت بحار قديم يعرف كيف يعلو بطبقات
صوته على هدير الموج . فلاعجب أن يفرق صوته ضجة الاحاديث
في القاعة ويتميز عنها ...

وطوعا لامر مسز « ويلكوكس » اخترقا « فيليب » القاعة كي
يدير الحاكى . وهو أمر كثيرا ما يحدث في كل مساء . وفجأة غمز
« بوليت » بعينه « لميجريه » ثم اتجه صوب الآلة وأوقفها ،
والتفت ناحية « موريكور » ونظر اليه نظرة شاخصة في تهكم ..
ولم يحتج « فيليب » .. وتظاهر بأنه لم يفتن لمغزى الحركة
والنظرة . وعندئذ تقدم منه « بوليت » بضع خطوات وصاح
بأعلى صوته :

— أنا لا أحب أن ينظر الناس الى هكذا !

فقال « فيليب » على الفور :

— ولكنى .. لم أنظر اليك !

فصرخ « بوليت » بغضب :

— اذن أنت تظن نفسك أرفع من أن تنظر الى ؟

ومرة أخرى اجابه « فيليب » بمزيد من الهدوء والمسالمة :

— أنا لم أقل هذا ! ..

وازداد صياح « بوليت » :

— لم تقله بلسانك .. ولكن أتظننى غيبا لا أفهم ؟

وهمست مسز « ويلكوكس » تقول شيئا باللفظة الانجليزية
لصاحبها .. وقطب مستر « بايك » جبينه . وعندئذ صاح

« بوليت » :

- أنظننى لست كفاء لك أيها الفأر الحقيقى ؟
واحمر وجه « فيليب » غاية الاحمرار .. ولكنه مع هذا لم يتحرك ، بل تظاهر بالنظر الى شىء آخر . ولكن « بوليت » لم يتركه بل صاح :

- حاول أن تقول مرة أخرى أننى لست كفاء لك !

وفى هذه اللحظة نظر « دى جريف » نظرة فاحصة الى « ميجرية » . نظرة بجانب عينه . فهل تراه فطن الى الحقيقة ؟
ان « ليشار » لم يفهم شيئاً على كل حال . ولهذا هم أن ينهض ليضع حدا للنزاع . فاضطر « ميجرية » أن يقبض على معصمه من تحت مفرش المائدة ..

وزاد « بوليت » فى وعيده :

- ماذا عسالك تقول لو أنى شوهت سحنتك بقبضة يدي ؟

وعلى الفور دفع « بوليت » قبضته فى وجه « فيليب » عبر المائدة . ورفع « فيليب » يده الى أنفه يتحسسها ، ولم يزد على ذلك . لم يحاول أن يدافع عن نفسه ، ولا أن يرد الهجوم بمثله .. بل قال متلعثما :

- أنا لم أسىء اليك ! ..

ووقفت مسز « ويلكوكس » أمام البار وصاحت :

- مسيو « بول » ! مسيو « بول » ! أخرج هذا الوبش ..
اطرحه خارجا . هذه عربدة فاضحة ! ..

والتفت « بوليت » نحو الهولندى صائحا :

- أما أنت ...

ولكن رد الفعل هنا كان مختلفا كل الاختلاف . فمن غير أن يغادر « دى جريف » موضعه تصلبت عضلاته وزمجر قائلا :

- كفى يا « بوليت » !

وأدرك الجميع أن « دى جريف » لن يسمح لاحد أن يعبث به ، وأنه على تمام الاستعداد للوثوب على خصمه بكل قوته العضلية ..

وتدخل « بول » أخيرا قائلا :

- اهدأ يا « بوليت » .. وهيا معى لحظة الى المطبخ ، فانى
أريدك هناك فى موضوع عاجل .. هيا معى !
وتركه « بوليت » يجذبه من ذراعه الى المطبخ ، وهو يصيح
محتجا انقاذا للمظاهر .. ولم يكن « ليشار » قد فهم المسألة
بعد ، ومع هذا سأل « ميجرية » هامسا :
- أنت الذى دبرت هذا ؟

ولم يجبه « ميجرية » .. وجلس متظاهرا بالبراءة التامة عندما
حدجه مفتش سكوتلانديارد بنظرة ثابتة ..
وعاد « بول » من المطبخ وحده ، فقدم اعتذاره لفيليب بكل لباقة
- انه سكران ياسيدى .. وقد أخرجته من الباب الخلفى ولن
يعود الى هنا الليلة ..

والان .. وقد طلع النهار ، لا بد أن يظهر « بوليت » فى عيون
الناس بمظهر البطل . وقد يفشى السر .. ولكن لم تعد لهذا
أهمية . فالمهم كله أن « فيليب » لم يدافع عن نفسه ، وأن الخوف
ارتسم على ملامحه بصورة لا توصف . ثم أقبل على الشراب
بافراط الى أن جذبته مسز « ويلكوكس » من ذراعه وانصرفت به ..
ولم يحدث شئ بعد ذلك . وصعد « شارلو » وصاحبته
الراقصة الى حجرتهم فى ساعة مبكرة . و « جينيت » و « اميل »
جلسا يتهامسان فى الركن . ولم تسد الضجة المرحة المعتادة ، ولم
يشرب أحد نخب أحد بسبب ما حدث . وعندما صعد « ميجرية »
الى حجرتة أخيرا كان « شارلو » وصاحبته لم يزالا ساهرين ! ..



مترجم

وسمع « ميجرية » طرقا على بابه فصاح :
- ادخل يا « ليشار » ..

ودخل « ليشار » ، فاذا به كالعادة في ملابسه الكاملة . وبعد تبادل تحية الصباح سأله « ميجرية » :

- هل ذهب مستر « بايك » للاستحمام في البحر ؟
وضحك « ليشار » وقال :

- لقد عاد .. وهو جالس الان في الطابق الاسفل منهمكا في التهام البيض المقلى باللحم المقدد على الطريقة الانجليزية ..
وأتم « ميجرية » تنظيف وجهه من اثار الصابون ثم قال :
- وأنت ماذا فعلت يا « ليشار » ؟
وهز « ليشار » كتفيه وقال :

- كالمعتاد .. بدأت يومى بالذهاب الى المرفأ ..

- لتراقب خروج الصيادين ؟ ..

- كلا .. انى اذهب خصيصا لمشاهدة السفينة « كورموران »

عندما تغلع

وعاد « ميجرية » يسأله :

- اليس هناك جديد ؟

وعاد « ليشار » يهز كتفيه وقال :

- لا شيء .. ويبدو أن يوم الاحد من كل أسبوع يمتاز بحضور

عدد كبير من الناس ، قادمين من هايير وطولون .. ووجهتهم

الشواطىء للاستحمام . فلا ينقضى اليوم الا وقد ملأوا الرمال
الناعمة بعلب السردين الفارغة وزجاجات النبيذ وفضلات الطعام
من كل نوع ...

- هل حضر أحد منهم ؟ ..
- كلا .. ولكنى جمعت هذه المعلومات من الناس .. وسيأتى
الفوج الاول على ظهر السفينة « كورموران » فى مدى ساعة ..

ولم يكن فى المعلومات التى وصلت من أوستند شىء لم يتوقعه
« ميجرية » . فالمسيو « بيلمانز » والد « انا » شخصية هامة
هناك . وكان عمدة للمدينة مدى سنوات طويلة . ورشح نفسه
للبرلمان ذات مرة وفاز بالنيابة ..

وقيل « لميجريه » أيضا أنه منذ هربت « انا » من بيت والدها ،
حرم أبوها على الجميع أن يتلفظوا باسمها أمامه . ثم ماتت زوجته
حزنا وكمدا .. ورفض الرجل ابلاغ « انا » بوفاة أمها ..

واستكمل « ميجرية » ارتداء ثيابه . وقال وهو يرتدى سترته :
- يبدو يا عزيزى « ليشار » أن جميع من ضلوا سواء السبيل
قد احتشدوا فى هذه الجزيرة ..

ولم يضطرب « ليشار » أو يظهر عليه التأثر .. فهو لا يكثر
لمثل هذه الخواطر والتعليقات ، فهز كتفيه وقال :

- ان الجو هنا هو المسئول ولاشك عن ذلك !

وسأله « ميجرية » وهو يضع الكولونيا على وجهه :

- ألم تقم بخطوة جديدة فى التحقيق ؟

ورفع « ليشار » حاجبيه ، وقال بشىء من العتاب :

- انى كما تعلم أقوم دائما بواجباتى ..

وضحك « ميجرية » وقال مهونا عليه :

- طبعا طبعا يا عزيزى « ليشار » .. هذا عهدى بك ..

وقال « ليشار » بلهجة تنم عن التفاخر :

- لقد وضعت نصب عينى يا سيدى كبير المفتشين أن أفحص

كل مسدس موجود فى هذه الجزيرة .. ولهذا فحصت اليوم

مسدسا اخر ، وان كنت لست كبير الامل فى أن يؤدى هذا الى

نتيجة . . ولكن الواجب هو الواجب ، والروتين هو الروتين يجب ان ياخذ مجراه . .

واتجه « ميجرية » نحو الباب . ومن ورائه « ليشار » يسأله :
- وماذا سنصنع اليوم يا رئيسي ؟

ولما كان « ميجرية » لا يدري بالضبط ماذا سيصنع ، او لعله لا يريد ان يفصح لـ « ليشار » عما سيصنع ، فقد تجاهل السؤال . .
ونزل الاثنان الى الطابق الارضى ، فوجدا المستر « بايك » امام مائدة مفروشة بمفرش به مربعات صغيرة حمراء ، وسأله « ميجرية » :
- طاب صباحك . . هل نمت جيدا ؟

ولمعت عينا مستر « بايك » وقال باقتضاب :
- جدا . . وانت ؟ . .

وأحب « ميجرية » ان يداعب صديقه الانجليزى فقال :
- اظنك بروتستانيا ؟ . .

وأجاب الانجليزى بجد :

- نعم أنا بروتستانى . . !

وأغلق « ميجرية » احدى عينيه وهو يسأله :

- وفي هذه الحالة لا تحضر القداس فى الكنيسة الكاثوليكية !
وبمزيد من الجد قال « بايك » :

- بل ذهبت الى القداس الباكر . .

انتقل « ميجرية » الى موضوع آخر ، فقال وهو يثبت عينيه فى « بايك » :

- لا أدري هل ستحب أن تأتى معى أم لا !

وظهرت الحيرة فى عينى « بايك » وقال :

- ولماذا ؟ . .

وافترت شلفتا « ميجرية » عن ابتسامة ذات مغزى وهو يقول :

- الحقيقة انى أنوى هذا الصباح أن اذهب لزيارة سيدة معينة

أعلم أنك لست متلهفا على الاجتماع بها . .

وقطب « بايك » جبينه قليلا وقال :

- أذهب أنت هذا الصباح الى اليخت ؟

واكتفى « ميجرية » بهز رأسه ايجابا . . وكأنما تلقى « بايك »

اشارة تحد ، فاذا به يدفع الطبق بعيدا عنه ثم ينهض قائما ويتناول
قبعته المصنوعة من القش التي اشتراها في اليوم السابق من دكان
العمدة اتقاء للشمس التي كادت تجعل وجهه في مدى يومين في
مثل لون وجه الميجر ..

ولاحظ « ميجريه » مافي هذه الحركة من عزم وتصميم فقال
بدعشة :

- اتنوى حقا ان تأتي معي ؟ ..

فقال « بايك » بهدوء يدل على الحزم :

- انى اضع في اعتبارى أنك قد تحتاج الى مترجم !

وابتسم « ميجريه » لهذه الكناية التي يزر بها الانجليزى فضوله ..

وتدخل « ليشار » في الحديث قائلا :

- وهل ساتى انا أيضا ؟

وربت « ميجريه » على كتف « ليشار » وقال :

- طبعا يا عزيزى .. أريدك ان تأتي معنا ..

ثم صعد « ميجريه » نظره في « ليشار » النحيل وسأله :

- اتستطيع ان تجدف فى زورق ؟ ..

ونفخ « ليشار » صدره الصغير ، وقال بزهو مضحك :

- كيف لا يا رئيسى وقد ولدت على ساحل البحر ؟!

واتجه الرجال الثلاثة الى ناحية المرفأ .. وهناك تقدم « ليشار »

من أحد الصيادين الذين تعودوا الا يعملوا يوم الاحد ، وطلب منه

ان يسمح له باستخدام زورقه . وحرص المفتش الماكر على ان

يكون من الزوارق ذات المحرك حتى لا يتعرض لامتحان التجديف!

واتخذ الثلاثة مواضعهم فى الزورق .. واستطاعوا ان يروا

« دى جريف » وصاحبته الفاتنة « أنا » يتناولان الافطار على ظهر

زورقهما ..

وكأن البحر كان يشترك أيضا فى عطلة الاحد .. فها هو سطح

الماء قد اكتسى لمعانا هادئا ، والزورق يشقه فينثر خطا من اللؤلؤ

يلمع فى ضوء الشمس

وكانت السفينة « كورموران » تبدو فى الجانب الآخر من الافق

راسية فى انتظار ركوب المسافرين لتأتى بهم الى الجزيرة ، وسطح

الماء الشفاف يبدو منه قاع البحر والاسماك الصغيرة تمرح بين
صخوره ، والاجراس ترن دقاتها معلنة ابتداء القداس المتأخر ..
وبدا اليخت المسمى « كوكب الشمال » عن قرب اكبر حجما
واكثر ارتفاعا مما كان يتوقعه « ميجرية » . ولاحظ الثلاثة
السكون التام فرفع « ليشار » صوته وهو يمد رقبته الى اعلى
صائحا :

- هالو ! يا سكان اليخت ! ..

ومرت فترة غير قصيرة ، ثم برز رأس بحار من فوق الحاجز
وقد غطى بصابون الحلاقة ، وفي يده موسى مفتوحة . وقال
« ليشار » :

- ألا نستطيع أن نقابل سيدتك ؟ ..

وقال البحار في لهجة اعتذار :

- أليس في وسعكم أن تأتوا بعد نحو ساعة مثلا ؟

وكان واضحا على مستر « بايك » أنه غير مستريح . وتردد
« ميجرية » قليلا وهو يفكر في تلك المرأة التي أصبحت جدة منذ
أسبوع ، وأخذته الشفقة .. ثم قال للبحار :

- سننتظرها على ظهر اليخت حتى تستيقظ ..

ولم يترك « ميجرية » فرصة للبحار كي يجيب ، وقال « ليشار » :

- اصعد أنت في المقدمة يا ليشار ..

وهكذا صعد الرجال الثلاثة واحدا بعد الاخر الى ظهر اليخت ..



أحداث في الفن

كانت قمرة اليخت ذات كوات صغيرة مستديرة من النحاس .
ومن احدى هذه الكوات رأى « ميجرية » وجه امرأة ملصقا
بزجاجها من الداخل برهة . ثم لم يلبث ذلك الوجه أن اختفى في
العتمة التي تسود القمرة من الداخل ..

وبعد برهة أخرى ، فتح باب القمرة وبرز منه رأس « فيليب » ،
وشعره غير ممشط ، وعيناه منتفختان من أثر النوم وسأل بحدة :
- ماذا تريدون ؟ ..

وبهدوء تام أجابه « ميجرية » قائلا :

- لا نريد سوى التحدث مع مسز « ويلكوكس » حديثا موجزا
وبنفس الجلافة قال « فيليب » :

- انها لم تنهض من نومها بعد ..

وبهدوء أشد قال « ميجرية » :

- هذا ليس صحيحا ! ..

بمزيد من الاحتداد قال « فيليب » :

- ماذا تعنى ؟ ..

وابتسم « ميجرية » ابتسامة صفراء ، وقال :

- لقد لمحتها منذ برهة تطل من الكوة ..

وكان « فيليب » مرتديا بيجامة من الحرير الابيض بها اشربة
ذرقاء .. وللقمرة التي وقف عند بابها بضع سلالم يجب أن يهبطها
المرء كي يدخل من الباب . واتجه « ميجرية » بخطوات ثقيلة

تحمل كل معانى الاصرار نحو السلم وبدأ يهبط غير منتظر لدعوة
او اذن .. وقال :

- يمكننا طبعاً ان ندخل ..

واصفر وجه « فيليب » وانهار صلفه .. ودخل الرجال
الثلاثة وهو لا يحرك ساكناً ..

وكان اليخت والقمرة مزيجاً عجيباً للبخ والفضي .. من
الذوق والاهمال . فالسطح نظيف كل النظافة والادوات النحاسية
لامعة فى ضوء الشمس كالذهب الوهاج . والحبال ملفوفة بعناية،
ومنصة القبطان بما فيها من بوصلة وعجلة للقيادة آية من آيات
النظافة ، كأنها مطبخ هولندى ..

وأما القمره فكانت مبطنة بخشب الموجنة الفاجر .. وبها مائدة
مثبتة فى الارض وأريكتان وثيرتان من الجلد الاحمر . ولكن على
تلك المائدة قوارير وكؤوس متناثرة وفتات خبز وبقايا سردين فى
علب مفتوحة وأوراق لعب عليها بصمات دهنية . والجو ملىء
برائحة مغشية هى مزيج من رائحة العرق البشرى ورائحة الكحول ،
شبيهة بتلك الرائحة التى تنبعث من مواخير الفجور الرخيصة ..
وفى تلك القمره باب يفضى الى قمره أخرى تستخدم مخدعا
للنوم . ولا ريب فى أن هذا الباب أغلق على عجل شديد ، لان مسز
« ويلكوكس » نسيته فى فرارها خفا من الساتان اللامع مقلوباً
على الارض ...

وبعد أن قلب « ميجرية » عينيه جيداً فى جميع أرجاء المكان
لقى نظرة حاملة على « فيليب دى موريكور » وقال :

- أرجو الا تؤاخذنا على هذا الاقتحام .. أترانا جئنا فقطعنا
عليكما لذة الافطار ؟

ووجه عينيه على أثر هذا السؤال الى زجاجة من البيرة
الانجليزية بقى فيها نصفها ، والى قطعة من الزبد فى ورقة ، والى
رغيف من الخبز به آثار اسنان ..

ومر الشاب الفرنسى بأصابعه بين خصلات شعره وقال :

- أهذا تفتيش رسمى ؟ ..

ووجه اليه « ميجرية » نظرته الحاملة ، وقال بصوت ناعم :

- لك ان تسميه باى اسم تشاء .. اما انا فاعتبرها حتى الان
زيارة .. زيارة واضحة صريحة ..

ورفع « فيليب » حاجبيه وقال :

- زيارة ؟ افي هذه الساعة ؟

وابتسم « ميجره » وقال :

... في هذه الساعة هناك كثيرون من الناس ادركهم الكلال من

كثرة ما قاموا به من نشاط ..

ومد الشاب شففيه وقال :

- ولكن مسز « ويلكوكس » تعودت ان تصحو متأخرة ..

وترامى الى سمعهم صوت ماء في الجانب الآخر من الباب

المفلق . ولا شك ان « فيليب » كان يتمنى ان يذهب ليرتدى ثوبا

لائقا . ولكن هذا التصرف يترتب عليه ازاحة النقاب عن الفوضى

الفاضحة التى تسود حجرة النوم . وكانت بيجامته تحمل آثاراً

كثيرة من المستحسن ان يخفيها تحت روب ..

وبحركة آلية تجرع شيئاً من البيرة .. وتسلل « ليشار » الى

سطح اليخت بناء على اشارة خفية من « ميجره » ولا بد انه شغل

نفسه بأمر البحارين القائمين على خدمة اليخت ..

ولم يكن هذان البحاران انجليزيين كما هو المنتظر .. وانما

هما من منطقة نيس ، ولعلهما ينتميان الى اصل ايطالى كما تدلّ

على ذلك لهجتهما ..

وقال « ميجره » لصديقه الانجليزى :

- فى وسعك ان تجلس يامستر « بايك » !

وكان « فيليب » قد اغفل دعوتها للجلوس .. وانتقلت خواطر

« ميجره » بسرعة البرق الى جدته . فتذكر كيف كانت فى ايام

الاحاد تذهب الى اول قداس فى الساعة السادسة صباحا ، حتى

اذا استيقظ جميع من فى الدار وجدوها فى ثوبها الحريرى الاسود

وعلى رأسها قلنسوة بيضاء .. والنار متأججة فى المدفأة والافطار

معد فوق مفرش ابيض منشى ..

ان العجائز ينبغى ان يذهبن الى اول قداس . ولا بد انهن فى

هذه الجزيرة ايضا ذهبن اليوم الى اول قداس . ولا بد انهن يفادرن

الكنيسة الآن الى دورهن وفي أردانهن وطوايا ثيابهن السود
وقلنسواتهن البيضاء رائحة البخور ..
أما مسز « ويلكوكس » فقد شربت على الريق البيرة . وها هي
خطواتها تروح وتجىء فى الجانب الآخر من الحاجز الخشبى
لتصلح من زينتها المتبرجة التى لاتشبه فى شىء زينة العجائز أيام
الآحاد

ووجه « فيليب » لم يزل متورما من أثر قبضة « بوليت » التى
انهالت عليه فى الليلة السابقة . وتحولت نظرة « ميجرية » الحاملة
عن وجه « فيليب » الى حوائط القمرة فاذا رسوم لم يستطع كبير
المفتشين أن يكون فكرة محددة عن قيمتها الفنية . ولكن معظمها
على كل حال تصور موضوعات جنسية من غير أن تتجاوز حدود
الذوق السليم . وأخيرا أشعل « ميجرية » غليونه وسأل فجأة :

- كم عمر والدتك الان يامسيو « دى موريكور » ؟

وعلت البفتة وجه « فيليب » وسأله :

- لماذا تسألنى عن هذا الامر ؟

ومد « ميجرية » شففيه وقال :

- ليس هناك سبب خاص .. ولكن على أساس عمرك لا بد أنها

الان فى الحلقة الخامسة ؟

- فى الخامسة والاربعين ..

وظهرت الدهشة على وجه « ميجرية » وهو يقول :

- فقط ؟

- لقد انجبتنى وهى صغيرة جدا ، لانها تزوجت فى السادسة

عشرة .. لهذا تبدو وكأنها أختى !

وعادت النظرة الحاملة تطل من عينى « ميجرية » وهو يسأل :

- فى هذه الحالة تكون مسز « ويلكوكس » أكبر منها سنا .

أليس كذلك يامسيو « دى موريكور » ؟

وأطرق مستر « بايك » الى الارض وشعر بالتحرج .. وتمنى

لو أنه كان على ظهر اليخت مع « ليشار » الذى يرى جالسا على

الحاجز النحاسى مستغرقا فى الحديث مع أحد البحارين وهو

ينظف مسامير اليخت ذات الرؤوس النحاسية الكبيرة ..

واخيرا سمعت حركة عند الباب وانفتح ، فظهرت في فرجته مسز « ويلكوكس » ثم اغلقته خلفها بسرعة لتخفى ما وراءه من الفوضى .. وكانت قد ارتدت ثيابها كاملة وطلت وجهها بالمساحيق الكثيرة . ومع هذا كان التعب واضحا في ملامحها ، والقلق ظاهرا في نظرتها . ولا بد ان شكلها كان فظيعا عندما استيقظت والتجأت الى زجاجة من البيرة القوية كي تصلح بها مزاجها المعتل ..

ووجد « ميجرية » نفسه يفكر لاشعوريا في جدته . ونهض فحياها وقدم اليها صاحبه قائلا :

- المستر « بايك » من مواطنيك ويعمل مفتشا في ادارة سكوتلانديارد الشهيرة . ولكنه ليس هنا الان في مهمة رسمية . وأرجو يامسز « ويلكوكس » ان تفبرى لى ازعاجى لراحتك في مثل هذه الساعة المبكرة

وابتسمت ، وكانت نظرة واحدة منها كافية لاشعار « فيليب » ان مظهره في « البيجامة » غير لائق . فقال وهو ينظر نظرة حاتقة الى كبير المفتشين :

- باذنكم ريثما ارتدى ثيابى ...

فقال « يجريه » على الفور :

- طبعا .. طبعا .. ولعلك تشعر بمزيد من الارتياح عندئذ ..

وقالت مسز « ويلكوكس » باسمة :

- اجلسا ايها السيدان .. أهناك شىء استطيع أن اقدمه لكما ؟

ونظرت الى غليون « ميجرية » وقالت :

- استمر فى التدخين .. وأنا ايضا سأشعل لنفسى سيجارة

وتكلفت الابتسام وهى تنظر الى المائدة وقالت :

- وأرجو أن تفضيا عن الفوضى السائدة هنا ، فاليخت ليس

كالبيت ، والحيز فيه محدود ..

وتساءل « ميجرية » فيما بينه وبين نفسه عما عساه يدور

الان فى ذهن مستر « بايك » اتراه يظنه فظا غليظ القلب ؟

انه على كل حال ليس فخورا جدا بالمهمة التى يرى نفسه

الان مضطرا الى القيام بها .. واستجمع أعصابه ليسأل السيدة :

- اعتقد انك تعرفين « جيف دي جريف » يامسز « ويلكوكس »
 فقالت الانجليزية العجوز على الفور :
 - انه شاب بارع .. و « أنا » فتاة حلوة دمثة . وقد حضرا
 الى اليخت جملة مرات ..
 وقال « ميجرية » بلهجة تبدو عادية :
 - يقال انه رسام موهوب ..
 فقالت مسز « ويلكوكس » باقتناع :
 - اعتقد انه موهوب فعلا . وقد سنحت لي الفرصة فاشترت
 منه لوحة كان يسعدني ان آريها لكما لولا انني ارسلتها الى الفيللا
 التي أملكها في فلورنسا ...
 وسألها « ميجرية » وهو يتصنع الاهتمام :
 - الك اذن فيللا في ايطاليا ؟ ..
 فانبسطت أسارير مسز « ويلكوكس » وهي تقول :
 - انها فيللا صغيرة متواضعة ، ولكن موقعها رائع .. فهي
 مشيدة على قمة تل . ومن نوافذها تبدو فلورنسا بأكملها لعين
 الناظر .. هل زرت فلورنسا ؟
 وابتسم « ميجرية » وقال بتواضع :
 - لم يكن لي هذا الحظ ..
 واستطردت مسز « ويلكوكس » تقول :
 - اني أقيم هناك جانبا كبيرا من السنة . والى هناك ارسل
 بكل شيء مما قد أشتريه من الصور أو التحف الصغيرة أثناء تجوالي
 باليخت
 وكان قد سرى عنها من أثر المفاجأة ، فقالت :
 - الا تريدان حقا ان تشربا شيئا ؟
 وكانت هي شخصيا تشعر بالظما ، وقد اجهت نظراتها الى
 الزجاجاة التي لم يتسع امامها الوقت لشربها ولم تجسر على الشراب
 وحدها ...
 - الا تحبان حقا ان تجربا جرعة من هذه البيرة التي استحضرها
 خصيصا من انجلترا مباشرة ؟ ..
 واراد « ميجرية » ان يرضيها فوافق .. واتجهت هي الى

ثلاجة صغيرة في ركن القمرة ، واستخرجت منها زجاجة احضرتها الى المائدة ..

وسألها « ميغريه » وهى تصب له كوب البيرة :
- اخالك اشتريت أشياء كثيرة فى غضون أسفارك ؟

فضحكت وقالت بشيء من الزهو :
- من أخبرك ؟ انى فى الحقيقة أشتري فعلا الاشياء لمجرد لذة الشراء من غير ان تكون هناك حاجة حقيقية الى تلك الاشياء ، فانا مثلا حين اذهب الى اسطنبول أسمح لنفسي بمجاراة البائعين حين يغروننى فى اسواقها بشراء اشياء سخيفة عجيبة تبدو لى فى حينها جميلة .. حتى اذا ذهبت فى نهاية الرحلة الى فلورنسا لم أجد فيها جمالا .. !

وانتقل « ميغريه » مرة أخرى الى موضوعه الاول :
- وهل التقيت فى باريس بدي جريف ؟
فقالت على الفور :

- كلا .. هنا فقط .. ومن مدة طويلة ..
وبسرعة وبراءة سألها :

- وسكرتيرك ؟ منذ متى التقيت به ؟
وبغير تردد أيضا أجابته :

- له فى صحبتى الان سنتان .. وهو فتى مثقف جدا ..
- وأين تعرفت به ؟ ..

- تعرفت به فى « كان » ..

وبصوته الناعم الهادىء واصل الاسئلة :

- وهل كان يعمل وقتئذ ؟ ..

- كان يرأسل صحيفة باريسية ..

وقدر « ميغريه » ان « فيليب » يلصق اذنه بالحاجز الخشبي ليسترق السمع .. ولكنه استطرد فى الحديث بصورة طبيعية :
- انك تتكلمين الفرنسية باجادة تامة يامسز « ويلكوكس » !
وسرت لهذا الاطرء وقالت :

- قضيت جانبا من صباى فى باريس .. وتلقيت فيها قسما كبيرا من تعليمى . وكانت مربيتى منذ ولادتى فرنسية ..

- وقفز « ميجرية » بأسئلته فجأة قائلاً :
- وهل كان « مارسلان » يأتي كثيرا الى اليخت ؟
وأجابت بلا تردد :
- طبعاً .. واظن ان كل من في الجزيرة تقريبا كانوا يترددون على اليخت لزيارتي ...
- وهل تتذكرين الليلة التي مات فيها ؟
وعلى الفور أجابت بهدوء تام :
- أظن هذا ..
- وعنى « ميجرية » بالنظر الى يديها .. ولم تكن بهما رجفة ..
- لقد تحدثت عنى كثيرا تلك الليلة ..
- هذا ما قيل لى .. ولم أكن أعرف من أنت ، فسألت « فيليب » ..
- وهل كان يعرفنى ؟ ..
وابتسمت وهى تجيبه قائلة :
- يبدو أنك معروف جداً ..
- وعندما غادرت « سفينة نوح » ..
- أكمل ...
- هل كان « مارسلان » قد انصرف قبل ذلك ؟
وأجابت بلهجة صريحة :
- ليس فى وسعى أن أحدد هذا .. فكل ما أعرفه عن يقين أننا أتجهنا الى المرفأ لائذين بالبيوت لان رياح « المسترال » كانت تهب بشدة . بل انى كنت أخشى الا نستطيع العودة الى اليخت تلك الليلة ..
- وبسرعة .. ولكن بلهجة عادية جداً سألتها :
- هل ذهبتما مباشرة الى الزورق أنت والمسيو «دى موريكور»؟
فأجابت بلهجة قاطعة :
- فوراً .. وماذا كان أمامنا أن نصنع سوى ذلك ؟ آه ! .. ان هذا يذكرنى الان أن « مارسلان » جاء معنا حتى الزورق ..
- ألم تقابلوا أحد فى الطريق ؟ ..
- لم يكن من الممكن أن نجد انسانا فى العراء فى تلك الساعة

- وهل كان « دى جريف » و « انا » قد عادا الى زورقهما ؟

فزوت مابن حاجبيها وقالت :

- ربما .. لا اذكر تماما .. انتظر ..

وعندئذ ذهل « ميجهيه » لسماع صوت مستر « بايك » الواضح يرتفع لأول مرة سامحا لنفسه بالتدخل فى الاستجواب ، ليقول بأناة شديدة ولكن من غير أن يظهر اهتماما شديدا :

- فى انجلترا يا مسز « ويلكوكس » يكون من الواجب علينا أن نذكرك فى مثل هذا الموقف أن أى شىء تتفوهين به قد يستخدم قرينة ضدك !

ونظرت اليه مسز « ويلكوكس » مأخوذة . ثم نظرت الى « ميجهيه » وقد أطلت نظرة ذعر من عينيها وسألته :

- هل هذا استجواب ؟ .. ولكن خبرنى يا كبير المفتشين .. لا اخالك ترتاب فىنا ؟ أخطر ببالك أن تشتبه فى « فيليب » وفى أننا قتلنا ذلك الرجل ؟

وسكت « ميجهيه » برهة وهو يقلب غليونه مفكرا ثم قال :
- أنا لا أشتبه فى أحد مقدما يامسز « ويلكوكس » .. ولكن هذا على كل حال استجواب .. ومن حقه ألا تجيبى ..
فقالته بدهشة واضحة :

- ولماذا لا أجيب ؟ لقد عدنا مباشرة . وأذكر أن الماء تسرب الى الزورق واضطربنا للتعلق بالسلم كى نتسلق الى سطح اليخت ...

وسألها « ميجهيه » :

- ألم يغادر « فيليب » اليخت بعد ذلك ؟

وظهر التردد فى عينيها ، لان حضور مواطنها جعلها تشعر بالقلق والحرص .. ولكنها قالت أخيرا :

- لقد ذهبنا مباشرة الى الفراش . ولم يكن فى استطاعته أن يغادر اليخت من غير أن أشعر بذلك ..

واختار « فيليب » هذه اللحظة بالذات ليدخل فى بنطلون من الفانلة البيضاء . وقد رجل شعره وحلق ذقنه وفى فمه سيجارة مشتعلة . وكان واضحا أنه يريد أن يبدو شجاعا ، فوجه الخطاب

الى « ميجرية » مباشرة :

- الديك أسئلة تريد أن توجهها الى ؟

ولكن « ميجرية » تظاهر بأنه لم يفتن لوجوده ، واستطرد :

- وهل كثيرا ماتشترين اللوحات الفنية ياسيدتى ؟

- فى أحيان كثيرة جدا .. فهذه احدى هواياتى المفضلة ..
صحيح أننى لا أملك مايسمى متحفا للصور ، ولكن مع هذا عندى
مجموعة قيمة منها ..

وهز « ميجرية » رأسه وقال :

- أتحتفظين بها فى فلورنسا ؟ ..

- نعم فى فلورنسا ..

وكانما هو مهتم بالفنون ليس الا ، وهو يسألها :

- لأساتذة الفن الايطاليين ؟ ..

وضحكت مسر « ويلكوكس » وقالت :

- لم أرتفع الى هذا المستوى .. بل أنا أكثر تواضعا ، وأروض

نفسى على القناعة بأعمال فنية أقرب الى العصر الحديث ..

وسألها « ميجرية » وهو يتعمد التحديد :

- من آثار « سيزان » و « لينوار » ومن اليهما مثلا ؟

فقال بفخر :

- عندى فعلا لوحة صغيرة بديعة بريشة « لينوار » ..

وكانما زاد اهتمام « ميجرية » بمقتنياتها الفنية :

- و«دى جاس» ؟ و«ماينة» ؟ و « موينه » ؟

- عندى رسم تخطيطى من عمل « دى جاس » .. صورة راقصة

وبمزيد من الوضوح وبايجاز سألها :

- و « فان جوخ » ؟

ولم ينظر اليها وهو يسألها بل حدق مباشرة فى وجه « فيليب»

الذى بدا وكأنه يجد صعوبة فى ابتلاع ريقه .. وجمدت نظرتة

نماما ..

وببساطة تامة لا تخلو من دهشه خفيفة قالت :

- لقد اشتريت أخيرا احدى لوحات « فان جوخ » ..

وأقفل عينيه قليلا ، وهو يسألها بشئ من الحدة :

– منذ متى بالضبط ؟ ..

– منذ بضعة أيام ..

وحولت وجهها الى صاحبها ، وسألته ببساطة :

– متى ذهبنا الى هاير لمرسلها بالبريد يا « فيليب » ؟

وأجابها « فيليب » بصوت شاحب :

– لا أذكر بالضبط ..

وتدخل « ميجرية » قائلاً :

– ألم يكن ذلك قبل مقتل « مارسلان » بيوم او يومين ؟

وكانت مسز « ويلكوكس » هي التي أجابت قائلة بوضوح وثقة :

– قبل مقتله بيومين .. أتذكر هذا الآن تماما ..

وثبت « ميجرية » عينيه في عينيها ، وهو يسألها :

– وهل وجدت هذه الصورة هنا في الجزيرة ؟

ومن غير أن تفكر قالت :

– كان « فيليب » هو الذي ...

ثم عضت على شفتيها .. وأدركت من سكوت الرجال الثلاثة

شيئاً .. فجعلت تنقل عينيها بينهم وأخيراً صاحت :

– ما المسألة يا « فيليب » ؟ بواسطة صديق لك ..

ثم وثبتت واقفة ، وتقدمت نحو كبير المفتشين وهي تصيح :

– هل تعنى .. وضع لى الامر ! تكلم ! لماذا لا تقول شيئاً ؟

والتفتت بحدة نحو صاحبها وصاحت :

– « فيليب » ؟ ما الحكاية ؟ ..

وظل « فيليب » جامداً كالتمثال ..

وقال « ميجرية » بهدوء :

– عفوك يا سيدتى .. ولكن لا بد لى من أن آخذ سكرتيرك

معى ..

واتسعت حدقتها وهي تصيح :

– أتلقى القبض عليه ؟ .. ولكنى أوكد لك أنه كان هنا ، ولم

يفارقنى طول الليل وأنه ...

والتفتت الى باب حجرة النوم .. وشعر الرجلان أنها توشك

ان تفتح الباب على مصراعيه لتريهما السرير الكبير المزدوج
وتصيح :

- كيف بالله يمكن ان يذهب من غير ان اعلم ؟
ونفض « ميجرية » ومستر « بايك » واقفين . ثم قال
« ميجرية » :

- الا تأتى معى يامسيو « دى موريكور » ؟ ..

وقال الفتى بصوت شاحب :

- ألدك أمر من النيابة بالقبض ؟

وبهدوء تام قال « ميجرية » :

- سأطلب من قاضى التحقيق ذلك الاسر ، ان كنت مصرا على

هذا .. ولكن لا أظن أن الامر يستدعى ذلك ..

وقال الفتى بصوت مترنح :

- أتقبض على ؟

وهز « ميجرية » رأسه سلبا وقال :

- حتى الآن ، لا ..

وبدهشة مرتجفة سأله « فيليب » :

- الى أين ستأخذنى اذن ؟

وأشار « ميجرية » بذراعه الى المكان وقال :

- سأخذك الى موضع آخر نستطيع فيه أن نتحدث معا بمزيد

من الهدوء والسكينة .. الا ترى أن هذا يكون أليق وانسب ؟

وقبل أن يجيب الفتى ، صاحت مسز « ويلكوكس » :

- أصدقنى القول يا « فيليب » ..

وكانت السيدة المسكينة قد انطلقت من غير أن تشعر تتحدث

اليه بالانجليزية .. ولكن « فيليب » لم يكن مصغيا اليها .. لم

يعد يفكر فيها ..

وعندما صعد الدرجات المفضية الى سطح اليخت لم يلتفت

اليها لتحظى منه ولو بنظرة توديع ..

ووجد الشجاعة اخيرا ليقول ل « ميجرية » مكابرا :

- هذا التصرف لن يؤدى بك الى كبير جدوى ..

الصمت الأخير

عند باب دكان العمدة ، وقف « ميجرية » ليطلب منه مفتاح قاعة البلدية .. وكان العمدة مشغولا في خدمة الزبائن ، فصاح بزوجه ان تبحث عن المفتاح . واستغرقت زوجته النحيلة الشاحبة الوجه وقتا طويلا في البحث . وكان « فيليب » طوال ذلك الوقت واقفا بين « ميجرية » و « بايك » متجهم الوجه ، أشبه ما يكون بتلميذ مذنب بين يدي ناظر المدرسة القاسي ..

وما كان الانسان ليصدق ان الباخرة كورموران جلبت في ذلك اليوم كل هذا العدد من الناس ، فالميدان يبدو من شدة الزحام وكأنه قد تعرض فجأة لحركة غزو ! ..

وشوهدت « أنا » داخل حانوت الشركة التعاونية وفي يدها حقيبتها المصنوعة من الشباك ، وقد ارتدت بنطلونا أبيض وقميصا يكشف عن الصدر والظهر .. أما « دي جريف » فكان جالسا مع « شارلو » على شرفة سفينة نوح

وشاهد هذان الرجلان « فيليب » وهو يمر بين هذين المفتشين وتتبعها الموكب الصغير بعيونهما من موضعهما على جانبي المائدة وفيما بينهما زجاجة من النبيذ الثلج ..

وكان « ميجرية » قد قال شيئا بصوت منخفض للمفتش « ليشار » فتخلف وترك الرجال الثلاثة وحدهم .. واخيرا احضرت زوجة العمدة المفتاح . وبعد دقائق معدودة كان « ميجرية » يدفع باب قاعة البلدية ، ثم اسرع على الفور يفتح النافذة ليطرد التراب والرطوبة . ثم قال :

- اجلس يا « موريكور » ..

فسأله « فيليب » ليتهاكم :

— أهذا امر ؟ ..

فقال « ميجرية » بهدوء :

— بالضبط !

ودفع اليه مقعدا صغيراً .. ويبدو أن « بايك » أدرك ان كبير المفتشين لا يحب في مثل هذه الظروف ان يرى الناس واقفين ، فقد تناول مقعدا ووضع في ركن واستقر فيه ..

ووجه « ميجرية » الكلام الى « فيليب » :

— أليس عندك ما تقوله لى ؟ ..

— هل انا تحت التحفظ الآن ؟ ..

وبهدوء أجابه « ميجرية » :

— نعم ..

فسأله الشاب بلهفة :

— ولكننى لم أقتل « مارسلان » ..

— ماذا تريد أيضا ان تقول ؟ ..

— لا شيء .. لن أقول شيئا اكثر من هذا . وفى استطاعتك أن تستجوبنى ما شئت الى ان تشفى غليلك ، وان تستخدم الوسائل الوضيعة التى تحت تصرفك لتحمل الناس على الكلام .. ولكننى لن أقول شيئا ..

ولم يجلس كبير المفتشين ، بل جعل يمشى فى القاعة على غير هدى ، ويلمس بين الحين والحين الإعلام وتمثال الجمهورية . ووقف لحظة امام النافذة ينظر الى زحام الوافدين على الجزيرة .. وتبين بعض السكان وقد ارتدوا ثياب الاحد النظيفة يتبارون فى لعب « السيجا » وها هو ذا المسيو « اميل » يتجه نحو مكتب البريد بخطواته الوئيدة ..

واخيرا وقف « ميجرية » بقامته الهائلة بجوار « فيليب » وقال :

— اظنك مدركا انك فأر صغير ؟

ورفع الشاب بلا تفكير يديه ليغطى وجهه . وأستطرد « ميجرية » :

— أنت فأر صغير مذعور ، جبان .. هناك أشخاص يقتحمون

البيوت ويجازفون بأراوحهم . وهناك آخرون يتخصصون فى

الاحتيايل على العجائز ويسرقون منهم الكتب النادرة لبيعها ، حتى
اذا قبض عليهم راحوا يبكون ويصرخون ويطلبون العفو والصفح
من اجل خاطر امهاتهم المسكينات ! ..

وبدا على مستر « بايك » انه ينكمش ويتضاءل حتى لا يحدث
اى حركة تزعج زميله الفرنسى ..

وقال « ميجرية » :

- من هو الذى اقترح فكرة اللوحات المزورة يا « موريكور » ؟

وزاغت عينا « فيليب » وهو يقول :

- لن اجيب الا فى حضور محام ؟ ..

- آه .. حتى تتكبد أمك العائرة الحظ مالاتطبق لتوكل لك
محاميا مشهورا . فلا بد لمن يحمل اسمك أن يدافع عنه محام
مشهور .. اليس كذلك ؟ أنت مخلوق كريه يا « موريكور » !

وشرع « ميجرية » يتمشى فى القاعة مرة أخرى ويداه وراء
ظهره ، فزاد الشبه بينه وبين ناظر مدرسة غاضب . ثم قال :

- كان معى فى المدرسة ، وأنا تلميذ ، غلام مثلك .. لم يكن
يستقيم أمره الا « بعلقة » مليحة بين الحين والحين . وكان المدرس
يتعمد أن يدير لنا ظهره أو يفادر الفناء حين نضرب هذا الولد
المائع . وقد نلت « علقه » أمس مساء ولم تتحرك فيك النخوة .
وظللت فى مكانك ترتجف بجوار المرأة العجوز التى تعولك . وكنت
أنا الذى طلبت من « بوليت » أن يضربك هذه العلقه لاننى أردت
أن أرى رد الفعل الذى ستحدثه لديك « العلقه » .. ذلك انى لم
أكن متأكدا من ظنونى ..

وقال « فيليب » فى خوف :

- وهل فى نيتك أن تضربنى الآن أيضا ؟

- هناك فيران حقيرة من أمثالك يا « موريكور » . ومنهم من
تعجز عن اثبات التهمة عليهم وزجهم فى السجن ، ولكنى أصارحك
الآن انى سأبذل كل مافى وسعى كى ألقى بك فى السجن ! ..

وراح يتمشى من جديد .. وتعمد أن يستدير فجأة نحو الشاب
عشر مرات .. وفى كل مرة كان الشاب يجفل ويرفع يديه بحركة
لا ارادية لحماية وجهه من الصفع !

- اعترف انك انت صاحب الفكرة في تزوير اللوحات ، لانك ستنتهى الى الاعتراف ولو اقتضانى هذا ان اقضى معك ثلاثة ايام وثلاث ليال . وقد سبقت لى التجربة مع من هم اصلب منك عودا .. حتى لقد اجتمع ستة منا على احدهم ، كل منا فى نوبته وظللنا نستعمل معه وسائلنا ستا وثلاثين ساعة . وكان مثلك انيقا حسن المظهر متبججا .. فهل تدري كيف اكتشفنا فى النهاية انه انهار ؟ .. من رائحته ! رائحة كريهة مثله ! لقد انتهى المكابر بأن أفرغ فضلات امعائه فى بنطلونه ! وكان بنطلونا جميلا أبيض اللون كبنطلونك هذا ! .. والان ! اخلع رباط عنقك !
- لماذا ؟ ..

- أتريدنى أن اخلعه لك يدي ؟ ..

وصدع « فيليب » بالامر :

- هذا افضل ! .. والان اخلع حذاءك . وبعد قليل ستشعر بالاثم حتما ! ..
- ليس من حقك ! ..

- اخلع حذاءك والا توليت انا الامر بطريقتى ! وجورك ايضا ! لقد كنت تفكر فى طريقة تبتز بها مزيدا من أموال المرأة العجوز التى تعيش فى كنفها . وربما وجد محاميك فى نفسه ما يخول له المحاوره والمداوره فى المحكمة لان مثلها يستحق أن يستففل ، ولأن القانون لم يجعل لحماية المفقلين ، ولا سيما اذا كانوا نساء ثريات عجائز لا يعرفن الحياء أمام رغائب أجسادهن . وهذا ليس من شأننا فى الحاضر . وعلى المحلفين فى المحكمة ان يفصلوا فى هذه المسألة ، والمهم الان أنك أردت استفلال غناها وغفلتها وجهلها كى تحصل على أموال طائلة منها بالاحتيال .. فاتفقت مع « دى جريف » واخالك أنت الذى حملت « دى جريف » على المجيء الى هذه الجزيرة ..

- وهل « دى جريف » قدیس طاهر الذیل ؟

- أعلم أن « دى جريف » فأر من نوع آخر .. كم لوحة مزورة صنعها لعجوزك البلهاء ؟ ..

- قلت لك أننى لن اقول شيئا ..

- ان لوحة « فان جوخ » لا يمكن ان تكون هي الاولى ، ولكن
الذى حدث صدفة ان شخصا ما عرف امر هذه اللوحة بالذات .
وربما كان ذلك قبل الفراغ من رسمها . . وكان من عادة «مارسلان»
ان يتجول على غير هدى برا وبحرا ، وان يتسلق القوارب واليخوت
على غير هدى كلما عن له ذلك . . واخاله فاجأ الهولندي ، وهو
يوقع لوحة باسم غير اسمه . . ثم بعد ذلك رأى تلك اللوحة بعينها
لدى مسز « ويلكوكس » . واستغرق « مارسلان » وقتا الى ان
أدرك سر الحيلة . ولم يكن متأكدا من الامر لانه لم يسمع من قبل
باسم « فان جوخ » . . فاتصل تليفونيا بصديقة له لتعثر له على
المعلومات الكافية عن ذلك الرسام . .

وكان « فيليب » مطرقا الى الارض ، وعلى وجهه نظرة ذهول .
وفجأة قال له « ميجرية » :

- أنا لا أقول انك أنت الذى قتلته . .

- وأنا لم أقتله . .

- ولعلك أجبن من أن تقدم على مثل ذلك الجرم . . وحدث
« مارسلان » نفسه قائلا : « مادام هذان الشابان يجمعان ثروة
من أموال هذه المرأة . . فماذا يمنعنى من أن أكون ثالثهما ؟ » .
وعرض عليك ذلك التحالف الثلاثى ، فرفضت أنت العرض . .
وعندئذ بدأ يكثر من ذكر صداقته « لميجرية » كبير مفتشى المباحث
الجنائية على سبيل التلميح والوعيد . . والان ما المبلغ الذى
طلبه « مارسلان » يا « موريكور » ؟

- لن أجيب . .

- لدى متسع من الوقت . . وفي تلك الليلة قتل « مارسلان » !

- عندى اثبات بأننى فى ذلك الوقت لم أكن فى مكان الحادث . .

- وهذا الاثبات أنك فى وقت مصرعه كنت فى فراش الجدة

العجوز ! . .

ان الشمس رائعة فى الميدان . . والزحام على أشده فى « سفينة
نوح » . ولا بد أن « دى جريف » لم يزل هناك . . ولعل « أنا »
انضمت اليه ، ومعها حقيبتها ملآنة بالسلع والمأكولات . و«ليشار»
جالس الى المائدة المجاورة يرقبه . . وسيتدخل عند اللزوم لمنعه

من الانصراف ..

أما « شارلو » فلا شك أنه أدرك الآن أنه جاء متأخرا الى المسرح ، فقد كان هو أيضا يريد ان يظفر بنصيبه من غنيمة الشابين !

– ألا تنوى أن تتكلم يا « فيليب » ؟ ..

– كلا ..

– لاحظ اننى لا أقص عليك هذا الكلام للتسلية ، ولا للاستدراج وأنا لم أقل لك ان تحت يدنا الدليل القاطع ، وأن « دى جريف » قد التقم « الطعم » .. انك ستتكلم فى النهاية لانك جبان . اعطنى علبه سجائر !

وأخذ « ميجرية » علبه السجائر من الشاب وألقى بها من النافذة ثم قال :

– هل لك يامستر « بايك » أن تؤدى لى خدمة ؟

– بكل سرور ..

– أرجو أن تتفضل بالذهاب الى « ليشار » فى شرفة « سفينة نوح » وتطلب منه أن يحضر الى هنا الشاب الهولندى .. يحضره وحده من دون فتاته . وأريد أيضا أن تحضر « جوجو » لنا زجاجات من البيرة الثلجة ..

وحرص « ميجرية » أثناء غياب زميله الانجليزى ألا يقول شيئا . واكتفى بالتمشى فى الحجرة ويدها خلف ظهره . ولما أقبل الشاب الهولندى بأذره قائلا :

– ادخل يا « دى جريف » .. انك لا ترتدى رباط عنق . وهذا

أسهل . اخلع حذاءك واعطنى رباطه ..

– هل أنا تحت التحفظ ؟ ..

واكتفى « ميجرية » بهز رأسه ، ثم قال :

– اجلس .. كلا ليس هنا . ابتعد عن صاحبك « فيليب » .

واعطنى سجائر ! واعطنى أيضا هذه السيجارة المشتعلة فى فمك

– الديق أمر من النيابة بالقبض على ؟ ..

– سأستصدر هذا الامر برقيا .. باسميكما ..

ثم جلس فى المقعد المخصص للعمدة حين يعقد الزواج وقال :

— احدكما قتل « مارسلان » .. وليس من المهم ايكما الذي قتله فانتما شريكان ..

واقبلت « جوجو » تحمل زجاجات السيرة والاكواب . ثم وقفت مبهوتة امام الشابين .. فقال لها « ميجرية » بلطف :

— لا تخافى يا « جوجو » .. فهما قاتلان حقيران . ولكن لا تخبرى احدا في الوقت الحاضر بأمرهما حتى لا يتجمع الناس حولنا في هذا اليوم المزدحم ! ..

وانصرفت « جوجو » ، وقال « ميجرية » بأناة وقد لاحظ ان الهولندى في منتهى الهدوء والثبات :

— لعل الاوفق ان اترككما تسويان الامر فيما بينكما .. فأحدكما سيفقد رأسه والآخر سيدخل السجن مدى الحياة ، أو لبضع سنوات على الاقل . ولو كان الامر بيدي لسويت بينكما في العقوبة

وظل « دى جريف » ساكنا لا يتحرك .. أما « فيليب » فازداد قلقه وذعره . وأخيرا قال « ميجرية » :

— اعترف يا « دى جريف » انك لم تقدم على هذا العمل طمعا في المال ، وانك كنت تتلذذ بالتزوير من أجل التزوير .. ولكي تثبت أنك ند في البراعة الفنية لاستاذ عظيم ، ولست ناشئا أو فاشلا كما يزعم اهلك عنك . وسنبعث الى فلورنسا لاستحضار جميع ما زورته من آيات الفن .. وسيملاك الزهو والاختيال حين ترى خبراء الفن تتملكهم الحيرة أمام هذا الاتقان العظيم ، واني أراهن يامسيو « دى جريف » أنك مسرور في اعماقك لافتضاح الحيلة ، فأى فخر لك طالما ان التزوير سر دفين بينك وبين صاحبك .. كيف كانت الدنيا ستعلم مبلغ براعتك .. وأما حياتك فأنت لا تحبها ..

وعندئذ قال الفتى الهولندى :

— لا أحب حياتى ولا حياتك ولا الحياة التى كان يريدنى الناس

على أن أحيها !

— أنت لاتحب شيئا ..

— حتى نفسى ! ..

- ولا حتى تلك الفتاة التي انتزعتها من أهلها لمجرد التحدى وتلطيخ شرف ذويها الامجاد ! ترى منذ متى وانت تتمنى ان تقتل انسانا !؟ لا من أجل المال ، ولا اضطرارا ، لا لتقضى على شاهد يتهددك بالخطر .. انما أتكلم عن القتل للقتل .. القتل رغبة في معاناة تجربة القتل . ولهذا ضربت الجثة بمطرقة بعد ان فارقتها الروح لتثبت لنفسك قوة أعصابك وعدم مبالاةك

وتراءت ابتسامة صفراء على شفתי الهولندي . و « فيليب » يرقبه مبهوتا ، وهو لا يكاد يفهم شيئا .. واستطرد « ميغريه » :
- أتريد الان أن أتنبأ لك بما سيحدث ؟ لقد قررتما أن تحفظا السر .. وأنتما تعتقدان أنه لا دليل ضدكما ، فليس هناك شاهد واحد على مقتل « مارسلان » . ولم يسمع احد اطلاق النار بسبب رياح « المسترال » . ولم يعثر على السلاح الذي استخدم في الجريمة .. ولعله الآن في قاع البحر . وعلى كل حال لم أكلف نفسى عناء البحث عنه . وقاضى التحقيق سيستجوبكما بصبر لا مزيد عليه . وستتحدث عنكما الصحف زمنا طويلا ، ولن يفوتها أن تنوه بانتمائكما الى أسرتين عريقتين .. وستشيد الصحف يا « دى جريف » بمواهبك المجهولة ، وتسלט الاضواء عليك باعتبارك شخصية يكتنفها الغموض وسوء التقدير فتذيع بعد ذلك شهرتك في عالم الفن ! وستتحدث الناس عن ديوانى الشعر اللذين نشرهما « موريكور » وتذيع شهرته في عالم الادب .. وسيتقاطر مندوبو الصحف على القاضى العظيم فى هولندا وعلى مدام « دى موريكور » فى الريف . وستصبح مسز « ويلكوكس » أضحوكة .. وستبذل سفارة انجلترا مساعيها لدى ادارة الصحف كي تفعل ذكر اسمها قدر الامكان !

وشرب « ميغريه » نصف كوب من البيرة جرعة واحدة . ثم ذهب وجلس على حاجز النافذة وظهره الى الميدان المشمس وقال :
- ان « دى جريف » سيظل متشبثا بالصمت ، لانه لا يشعر بالخوف .. أما انت يا « فيليب » فستتكلم لانك جبان !
والتفت « دى جريف » الى صاحبه وعلى فمه ابتسامة مبهمة .
واستطرد « ميغريه » قائلا :

- ستتكلم انت يا « فيليب » .. وربما ليس اليوم . ولكن
غدا عندما تجد ثلة من رجال البوليس غلاظ الاكباد يستجوبونك
بقبضات ايديهم .. ولكنك لا تحب الضرب يا « فيليب » !
- ولكن ليس لهم الحق ...

- وهل كان لك الحق في أن تبتز اموال امرأة عجوز ؟
- انالم أكن في الجزيرة عند وقوع الجريمة .. أما هو فكان
في الجزيرة ..

- ان كنت أنت في أحضان الجدة العجوز وقتئذ ، فليده أيضا
« أنا » التي ستقول أنه لم يفارق أحضانها ..

وألقى « ميجرية » نظرة من النافذة ، فوجد حركة الغداء على
أشدها في « سفينة نوح » . ولا شك أن « جوجو » لم تعقل لسانها
.. فها هي مجموعات من الناس بدأت تحوم حول قاعة البلدية ولن
تلبث طويلا حتى تتحول الى حشد كبير . فقال لـ « بايك » :
- ما رأيك في أن نتركهما وحدهما تحت حراسة « ليشار »
ونذهب لنتناول الغداء ؟

وخرج الاثنان فعلا الى الميدان الدافئ ، متجهين الى « سفينة
نوح » . ولاحظ « ميجرية » صمت « بايك » فسأله :
- أتشعر بالشفقة عليهما ؟ ..

وهز « بايك » كتفيه ولم يجب ..
وما أن جلسا الى المائدة حتى شاهدا « شارلو » ينهض ويذهب
على عجل الى المرفأ . وتابعه « ميجرية » بنظراته ثم قطب جبينه ،
وأنطلق في اثره وفي اعقابه مستر « بايك » الذي لم يفهم من هذه
الحركات شيئا . وفي المرفأ وجدا « شارلو » يصعد الى اليخت
الصغير المسمى « زهرة الحب » ويطل داخل القمرة ثم يدخل
ويخرج منها بسرعة حاملا فوق زراعيه شيئا ..

وعندما أدركه المفتشان تبينا في الجثة تلك الحسناء الصغيرة
« انا » وقد القى على الارض انبوب فارغ به حبوب منومة ..
وحضر الطبيب على عجل .. ولكن لم يكن الناس بحاجة اليه
نكى يعرفوا أنها فارقت الحياة ..

واخترق المفتشان الجمع الذي احتشد في المرفأ حول الفاجعة .

وقال « ميغريه » لـ « بايك » :

ـ لقد أدركت المسكينة أنه لا خطر على « دي جريف » إلا من اعترافها .. وخافت أن تضعف ، فأرادت أن تؤمن حياته مضحية بحياتها .. .

ـ لم يزل يوجد في الحياة شيء اسمه الحب ..

ولم يستطيع « ميغريه » أن يقاوم ثورة في اعماقه دفعت به الى قاعة البلدية .. وهناك لم يتردد .. شمر عن كمة وانهاى بقبضة يده على وجه « فيليب دي موريكور » ..

لما سكن ثأره قليلا اعتذر عن سلوكه لزميلة الانجليزى قائلا :

ـ لا بد أن تجد القذارة جزاء يتناسب معها ..

وأشار الى « ليشار » فوضع القيود الحديدية في يدي الأثمين ، ونظر في ساعته وقال لمستتر « بايك » :

ـ لن أستطيع البقاء في هذه الجزيرة ليلة أخرى حتى لا أرى تلك المسكينة وهى تزف الى القبر .. وهذين الحقيرين ينعمان بأنفاس الحياة .. لا بد أن نستقل باخرة الساعة الخامسة .. !

تمت

روايات الهدى

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

هذه الرواية

هذه الرواية من الادب البوليسى الراقى الذى يجمع بين الغاز الجريمة وبين التحليل النفسى لشخصيات وبماذج بشرية طريفة ، تحليلا يمتاز بالعمق والبساطة والوضوح

وفليلون من كتاب العالم هم انذين أفلحوا فى خلق هذا المزيج العجيب من عناصر التشويق والمعرفة ودقة الوصف بحيث لا يدري القارىء أيهما أمتع : هل هو غموض الجريمة وخفاء شخصية المجرم المجهول ، أم هي مفتش المباحث الذى لا يبدو عليه لاول وهلة سوى التخبط ، ولكن ما يراه القارىء غامضا لامعنى له هو بعينه ما يحيله ذكاء مفتش المباحث الى أدلة واضحة وتوضوح الشمس فى الضحى . ومع هذا يزداد الغموض فى كل صفحة ، وتتشعب المسالك ، ولا يتجلى السر الا فى الصفحة الاخيرة ..

ومن أعظم كتاب هذا النوع الروائى العالمى ((جورج سيمنون)) وبطله فى هذه الرواية هو شخصية المفتش ((ميجرية)) التى تشابه فى الادب البوليسى الانجليزى شخصية شارلوك هولمز التى أبدعها سيركونان دوويل . ولكن المفتش ((ميجرية)) رجل يجمع بين ذكاء هولمز ودقة ملاحظته ، بين صفات الفنان والفياسوف الذى يقترب من القلب بخفة روحه وسمو انسانيته



جورج سيمنون
كاتب بلجيكي المولد ،
فرنسى اللسان والقلم ،
امريكى المهجر ، عالمى
الوطن ، نالت رواياته
شهرة عالمية

لا يكتب الرواية
البوليسية كماوع ما
كتبتنا المتخصصون ،
ويكتب الرواية الوجدانية
الواقعية كأنك تعيش
مع أشخاصها فى حياتك

* من أهم رواياته
العالمية التى رشح من
احلها نيل جاترة نوبل
التيح الاسود ، فتاة فى
ماضيه ، هذه المرأة لى ،
اعلان الخطيئة ، البلد
المجهولة ..